علم وإيمان

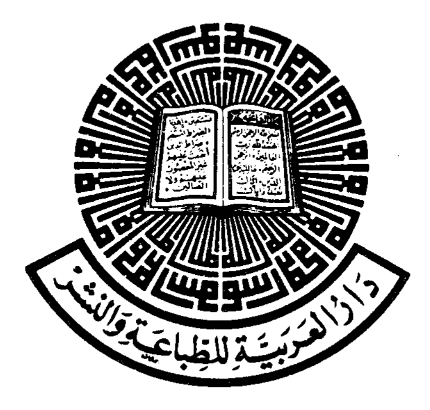
مقدمات وأبحاث تمهيدية
في العقيدة الإسلامية

تأليف
الشيخ محمد نمر الخطيب
رئيس قسم علم الكلام والفلسفة بكلية الشريعة
جامعة بغداد

دار العربية
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م



المركز الرئيسي: شارع سورية . بناية صمدي وصالحة . طابق أول رقم ١١
هاتف للمكتب: ٢٢٢٠٦٧ - ٢٤٨٢١٢ - المطبعة: ٢٦٦٢٧٤ - المنزل: ٢٧٨٩٨١ - ص ب ١١٦٠٨٩ . برقياً: درويز
فرع دمشق: هاتف: ٢٢٥٦٤١ - ص ب ٦٠٦١

مقدمات وأبحاث تمهيدية

في العقيدة الإسلامية

المقدّمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي الكريم وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أمّا بعد، فيسرني أنْ أقدم هذه الرسالة التي جعلناها مقدمة لدراسة العقيدة الإسلامية، وأسميناها (أبحاث تمهيدية للعقيدة الإسلامية).

ولهذه الرسالة قصة طريفة نذكرها، آملين أنْ يكون ذلك عبرة وتنويراً للقارىء الكريم.

لقد عدت إلى دار السلام بغداد، بلد الرشيد والعاصمة الثانية لأمة الإسلام.

وقد كان ذلك بعد غيابٍ استمر قرابة عشرين سنة، وشاء الله، وعدت ثانية، للتدريس في كلية الإمام الأعظم. وكانت إذ ذاك منقسمة إلى ثلاثة أقسام:

(١) أصول الدين
(٢) شريعة
(٣) لغة عربية

وكان الطلاب جميعهم في هذه الكلية مسبوقين بدراسة إسلامية قوية في المعاهد الإسلامية الأولية والثانوية- وقد أسندت إليّ العمادة الكريمة للكلية تدريس (شرح المواقف)[1] لطلاب أصول الدين، والحق أنّ هذه الدراسة وفي

---

(١) كتاب المواقف هو للعلامة عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الايجي القاضي المتوفي سنة ٧٥٩هـ.
وشرحه كثير من العلماء ومن هذه الشروح شرح السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني وفرغ منه سنة ٨٠٧هـ وتوفي رحمه الله سنة ٨١٦هـ.

هذا الكتاب المذكور يعتبر من أعظم المتع العقلية.

كما أسندت إليّ في الوقت ذاته تدريس كتاب (العقائد النسفية)[1] لقسم الشريعة.

وكان الطلاب في كِلا القسمين أهلاً للدراسة في هذين الكتابين القيمين اللذين يعتبران من خيرة تراثنا الإسلامي.

وكم كان لسلفنا الصالح، وشيوخنا الكرام- رضي الله عنهم- من عظيم العناية بمثل هذين الكتابين.

وقد درّسها ودرسها وعلّق عليها شرحاً وتحشيةً وتقريراً العشرات والعشرات من النظّار وأهل الفهم والاعتبار.

واستمر تدريسي لهذين الكتابين عدّة سنوات تخرج في أثنائها عدد صالح من الطلاب من ذوي الأهلية والكفاءة والرغبة في العلم وتحصيله، وتولوا بعد ذلك والحمد لله، مناصبهم في التدريس والإمامة والوعظ والإرشاد وغيرها.

ثمّ تغيّر الحال فألحقت كلية الإمام الأعظم بجامعة بغداد- بعد أن كانت تابعة لوزارة التعليم العالي.

وهنا حصل أمران:

الأول: في تغيير اسم الكلية، فرجع إليها إسمها القديم (كلية الشريعة).

أمّا الأمر الثاني فقد الغيت الأقسام الثلاثة المذكورة، من الكليه ووضع لها منهج جديد، وأبيح للدخول فيها طلاب من المدارس الثانوية الذين لم يسبق لهم دراسة إسلامية قوية، ولا معرفة بأسماء الكتب القديمة.

وقد كان لهذ التغيير أثرٌ كبير في منهج الدراسة والتدريس، وصار لا بد لنا من تقريب هذه العلوم إلى أبنائنا الطلاب الجدد، بالقاء محاضرات تمهيدية لتكون عوناً لهم على فهم كتب التراث الإسلامي.

---

(١) هو للشيخ نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد المتوفي سنة ٥٣٧هـ.
واعتنى به جم من العلماء فشرحه العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني وفرغ من تأليفه سنة ٧٦٨هـ. وتوفي رحمه الله سنة ٧٩١هـ.

ومن هنا نشأت فكرة هذه الرسالة، وكان من حسن الحظ أنني أمليتها ووضعتها بين يدي الطلاب على شكل مذكرات.

ولمّا كان من المفيد أن يتداولها الطلاب وغيرهم أقدمت على طبعها ونشرها راجياً من الله تبارك وتعالى أن ينفع بها وأن يثبـنا عليها.

وفي النية أنْ يتم طبع كتاب (العقيدة الاسلامية) محتوياً على المقاصد الهامة، والأبحاث التي لا غنى عنها للطالب بأسلوب سهل وبراهين عصرية جديدة بما يتناسب مع الزمان والمكان.

والله نسأل أن يوفقنا للعمل بما يرضيه، وأنْ يكتب لنا الاخلاص.

وقد اشتملت هذه الرسالة على:

تمهيدٍ، وخمسة مباحث.

البحث الأول: ما هو أول واجب على المكلف. فصّلنا فيه القول واختلاف المذاهب، ونصرنا الراجح منها.

البحث الثاني: أسباب العلم، ذكرنا فيه منابع العلم والطرق المؤدية إليه، وذكرنا فيه الأرآء والمذاهب، مع ذكر الراجح بدليله، والرّد على المخالفين.

البحث الثالث: الاجتهاد والتقليد.

سردنا فيه أقوال العلماء في كفاية التقليد، أو وجوب الاجتهاد في معرفة الله تعالى. ولمّا كان هذا الموضوع شائكاً وجليلاً أطنبنا فيه بعض الإطناب، وتوسعنا فيه بعض السعة وناقشنا آراء العلماء، وخالفنا رأي حجة الإسلام الغزالي فيما ذهب إليه.

وقد اشتمل هذا البحث على نكاتٍ لطيفة وتحقيقات قيّمة.

البحث الرابع: الإيمان بالله تعالى إيماناً صحيحاً، وأنّه أعظم العبادات وأشرفها.

حقّقنا فيه معنى الإيمان لغة واصطلاحاً، وخطورة التوحيد، وخطورة الشرك، وقد ذكرنا في هذا البحث فوائد جليلة، وبينّا الحكمة في عدم قبول عمل المشرك، ولماذا كان الكافر قد أتى بأعظم الجرائم، ثم بينّا الفرق بين

معصية المؤمن ومعصية الكافر، كل ذلك مع تحليل علمي إعتمدنا فيه على علم النفس وغيره.

البحث الخامس: الإسلام ذكرنا فيه معنى الإسلام لغة واصطلاحاً ومشتملاته، وأجزاء العقيدة واختلاف المذاهب، وبيان الصحيح منها، والانتصار لعقيدة أهل السنة والجماعة. وقد حققنا في مبحث (الإسلام والإيمان) متى يجتمعان على معنى واحد ومتى ينفرد كلٌّ منهما على معنى مستقل، مع تحقيقات دقيقة في هذا الموضوع.

البحث السادس: وقد اشتمل هذا البحث على شرح آياتٍ كريمة من سورة الحجرات تتعلق ببيان حقيقة الإيمان والإسلام. وقد راعينا في شرح الآيات الأسلوب العربي السهل.

وقد جعلنا شرح هذه الآيات كالتأكيد على المعاني السابقة.

ولا بدَّ من الإشارة الى أننا على رغم ما توخيناه من تقريب المعنى وسهولة العبارة. فإننا راعينا التحقيق والأسلوب العلمي ليتعود طلابنا الجامعيون على الأسلوب العلمي لأسلافنا، وعلى الغوص في مطالعة تراثنا العظيم.

وسوف يشهد القارىء ما احتوت عليه هذه الرسالة من تحقيق الأعلام والمذاهب، وتخريج الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والأقوال المأثورة إلى غير ذلك مما سيراه منظماً في آخر الكتاب.

اللهم إنّا نسألك أن تجعلنا من عبادك الصالحين، وأن تتقبل منا أعمالنا، وأن تجعلها نافعة شافعة ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم﴾.

هذا ونرجو من المطالعين الكرام وزملائنا الأفاضل أن يتحفونا بملاحظاتهم القيمة ونظراتهم السديدة لتكون عوناً لنا في الطبعات المقبلة ان شاء الله.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وسلم تسليماً كثيراً.

الفقير إليه تعالى

الشيخ محمد نمر الخطيب

غفر الله له ولأصوله ولفروعه وللمسلمين آمين

بغداد - حدائق السعدون

٢١ ربيع الثاني ١٤٠١هـ.

٢٦ شباط ١٩٨١م

مقدمات وأبحاث تمهيدية في العقيدة الإسلامية

- بمَ استحق الإنسان كرامة الله وخلافته في أرضه؟
- المعرفة وفضلها
- معرفة الله تعالى أعظم المعارف
- أول واجب على المكلف
- أسباب العلم
- الاجتهاد والتقليد
- نعمة الإيمان
- خطر الإلحاد
- حقيقة الإيمان والإسلام
- شرح بعض الآيات المتعلقة بذلك.

المدخل

فضل المعرفة

أعظم العبادات وأشرفها:

١ - معرفة الله تعالى معرفة صحيحة.

٢ - الإيمان بالله تعالى إيماناً صحيحاً.

تمهيد:

لا شك أنّ معرفة[١] الله- سبحانه وتعالى- أعظم أنواع المعارف وأجلُّها على الإطلاق.

ذلك لأن المعرفة في حد ذاتها أمر عظيم، بها امتاز الإنسان عن غيره، وبها ارتفع مقامه وعظم شأنه.

---

(١) يقال العارف بالله ولا يقال العالم بالله لأن المعرفة إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره. والبشر يعرفون الله بتدبر آثاره دون إدراك ذاته.

أما العلم: فهو إدراك الشيء بحقيقته، ولما كان الله تعالى لا يدرك بحقيقته لا يقال العالم بالله. أنظر مفردات الراغب للأصفهاني المتوفي سنة ٥٠٢ صفحة ٣٣١-٣٤٣ مطبعة دار المعرفة بيروت. أنظر كذلك تاج العروس من جواهر القاموس مجلد ٦- صفحة ١٩٢-١٩٣.

وقيل العلم: بالمركبات والكليات، والمعرفة: بالبسائط والجزئيات. وقيل مترادفان. أنظر العقائد النسفية.

وبالمعرفة استحق هذا الكائن الإنساني خِلافة الأرض وعمارة الدنيا .

وبالمعرفة انكشفت له الحقائق ، وانزاحت امامه الغيوم ، واتسعت أمامه الآفاق ، فاستطاع أن يغوص لجج البحار ، وأن يمتطي متون الهواء ، ويخترق أجواء السماء ، وبها وضع أقدامه على القمر ، وكاد أن يلبي دعوة الأفلاك والكواكب ليكشف أستارها ، ويستجلي غيوبها ، ويفك غوامضها ، وينشر أسرارها .

ألم يقل الله تبارك وتعالى لملائكته حينما قالوا له :

﴿قالوا أتجعلُ فيها من يُفسدُ فيها ويسَفكُ الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال أني أعلم مالا تعلمون..﴾[١] .

﴿قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾[٢] .

ولنستمع إلى هذه القصة من أولها، لأنها قصة الحضارة البشرية من بدايتها إلى نهايتها .

قال تعالى :

﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟ قال إني أعلم مالا تعلمون﴾

﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة ، فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم﴾

---

(١) البقرة آية ٣٠ .

(٢) البقرة آية ٣٣ .

﴿قال يا آدم انبئهم بأسمائهم، فلما أنباءهم بأسمائهم.

قال الم أقل لكم: إني أعلم غيب السماوات والأرض، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون.

وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾[1].

أرأيت كيف أوضح الباري تبارك وتعالى لملائكته المقربين، وسكان سماواته، وحملة عرشه، عظمة هذا الإنسان، وجلالةَ هذا الكائن، مبينا سبحانه أن عظمته لم تنشأ من كبر جثته، أو ضخامة هامته، لا هذا ولا ذاك، بل لما خلق فيه من عقل وادراك، وبما امتاز به عما سواه بالعلم والمعرفة.

ثم ألا ترى معي أن هذه الآياتِ الكريمةَ على وجازتها وقلة كلماتها، قد حوت تاريخ العقل البشري ألم يقل انه علم آدم الأسماء كلها، وهذا معناه أن العقل البشري لا حد للاستعدادته، ولا نهاية لإدراكاته فهو قابل للمعارف والعلوم إلى مالا حد ولا نهاية.

ألا ترى معي إلى قوله: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾، انه اشتمل على قصة الحضارة التي خطاها الإنسان، **إبتداءً** من سكنه المغاور والأكواخ والغابات، إلى عمارة القصور وناطحات السحاب، وابتداء من استخدام الحجارة والنار والبخار والكهرباء، إلى عصر الذرة إلى مالا نهاية.

ألا ترى معي في قوله: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾، فاستوعبها هذا الإنسان، وتقبلها هذا المخلوق، ووسعها هذا الكائن الصغير،

---

(١) البقرة من آية ٢٩ - ٣٤.

وعجز عنها ذلك الخلق العظيم الذي سماه الله تعالى **بالملائكة**.

كل ذلك يدلك على أن هذا الإنسان الذي أعطى هذا العقل وشرّف بالفهم والمعرفة، كان جديراً بعد ذلك بهذه الفضائل أن يكرم بسجود الملائكة له، فقال تعالى:

﴿- وإذ قال ربك للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا...﴾

هذا هو الإنسان العالم العارف الذي استحق هذا الإكرام والتعظيم.

ولا يفوتنا أيضا أن نقارن بين قول الملائكة:

﴿أتجعل فيها من يفسد فيها، ويسفك الدماء، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾

فقد ظنوا أنهم أميز مخلوقات الله بسبب كونهم مسبحين عابدين لله تعالى، منزهين عن الفساد وسفك الدماء، ومقارفة المعاصي.

وقد أظهر لهم تبارك وتعالى، أن التسبيح والتقديس وإن كانا من جلائل العبادة، ولكن المعرفة هي أجلّ أنواع العبادات وأرقاها على الإطلاق.

فالنوع الإنساني، وإن كان لا يخلو مما اتهمته به الملائكة من الافساد وسفك الدماء، إلا انه قد اتصف بما يغطي على هذه العيوب جميعا بسبب ما وهب من عقل وإدراك وعلم ومعرفة.

قصة الأمانة:

وهناك قصة الأمانة: التي قصها الله تعالى علينا بصورة تمثيلية رائعة تأخذ بمجامع العقل والقلب معاً، والتي تدل على ما ذهبنا اليه من تفضيل الإنسان على كافة المخلوقات بسبب العقل والمعرفة.

قال تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان﴾[1].

فقد عرض الله- تبارك وتعالى- هذه التكاليف من إيمان وعبادات وتشريعات، على أضخم مخلوقاته جثة وأعظمها جرما، وهي السماوات والأرض والجبال، ولكنهن أبين أن يحملنها وأشفقن على أنفسهن من حملها.

ولكن هذا الإنسان وما أصغره، وما احقره جثة وجسما بالنسبة إلى عالم الجبال، فكيف بالأرض وما حوت، ثم كيف بالسماء، ثم كيف بالسماوات.

ولكن الأمر لا يتعلق بعظم الأجسام وكبر الاجرام، وإنّما يتعلق بهذا العقل الذي حمله هذا الإنسان، فاستطاع به أن يحمل ما عجزت السموات والأرض والجبال عن حمله، فاستحق هذا التشريف والتكليف بمعرفة الله تعالى وعبادته.

العارفون بالله:

ولكن العارفين ليسوا على حد سواء، لأن معارفهم ليست على حد سواء، فعلى حسب المعرفة كما وكيفا، يمتاز عارف من عارف.

وعلى حسب المعرفة شرفاً وضعة، يمتاز عارف من عارف.

ولهذا، امتاز صائغ الذهب عن صانع النعال.

وامتاز طبيب الإنسان عن طبيب الحيوان.

وامتاز صاحب الهندسة عن حامل الحجارة.

---

(١) الأحزاب آية ٧٢ جزء ٢٢.

فكلما كان الموضوع هاماً، كان العلم الباحث عنه هاماً أيضاً، وبمقدار هذه الأهمية يمتاز ذلك العلم وتعلو تلك المعرفة.

والمعارف والعلوم، متفاوتة في أهميتها والحاجة إليها، فالنجارة والحدادة والزراعة مثلاً أمور مفيدة يتوقف عليها العمران.

ولكن الطب والهندسة وعلوم الطبيعة أكثر فائدة، وأعظم دلالة على حضارة الإنسان وعبقريته. فهذه العلوم كلها قد تفاضلت وتمايزت بحسب قيمتها من ناحية، وبحسب فائدتها للإنسان، وما تجلب له من سعادة وراحة واستقرار من ناحية أخرى.

ومعرفة الله سبحانه وتعالى، وعظيم صفاته، وكريم أفعاله معرفة صحيحة لا تحقق الفائدة في هذه الدنيا فحسب، وإنما هي تتوقف عليها سعادته في الدنيا، وفوزه في الآخرة.

إن جميع العلوم والمعارف إذا فاتت الانسان، لا شك أنه قد يخسر شيئاً كثيراً من سعادة هذه الدنيا، ومن متع هذه الحياة.

ولكن الدنيا، مهما عظم امرها، واشتد خطرها، وطال زمانها، فانها تنتهي وإلى نهاية، وفواتها فوات حظوظ عاجلة، وسعادة زائلة والحياة مهما طالت، ومهما امتد أجلها، فانها تنتهي بالأجل المحتوم والوقت المعلوم.

أما معرفة الله معرفة صحيحة، فانها إذا فاتت فوتت على صاحبها سعادة لا حد لها، وأبقت له شقاءاً لا حد له.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن من غابت عليه معرفة الله فقد غابت عليه حقيقة الحقائق، بل الحق الأول، وأصل الأصول، وعلة الكون، ومصدر الأشياء كلها.

وما معارف الدنيا كلها بجانب هذه المعرفة إلا كأحلام نائم، أو طيف ساهم، أو خيال خائل، وأين لذةُ الحقيقة من لذة الخيال، وأين ادراك.. الأصلِ الأولِ، من ادراك مالا يغني فتيلاً، ولا ينفع قيلا.

فمن عرف الله تعالى معرفة صحيحة فقد كان عارفاً ومتصفاً بالمعرفة ولو قصر في كثير من المعارف أو فاتته المعارف كلها.

أما الذي فاتته معرفة الله تعالى معرفة صحيحة، فهو ليس بعارف شيئاً، ولو عرف كل شيء في الوجود، ولو ملأ الدنيا من علومه ومعارفه، ولهذا قال العلماء: (المعرفة أول واجب على المكلف).

وقال تعالى: ﴿قل هل ننبئكم بألاخسرين اعمالا، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا﴾[١].

﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم، فأصبحتم من الخاسرين﴾[٢] ومن ورد البحر استقل السواقيا[٣].

لهذا قلنا في أول كلامنا: (لا شك أن معرفة الله- تبارك وتعالى-، معرفة صحيحة هي أعظم أنواع المعارف، وأجلُها على الإطلاق).

علم اصول الدين:

ولأجل ذلك كان العلم الباحث عن الله- تعالى- وصفاته وأفعاله هو علم أصول الدين والذي يطلق عليه أيضاً علم الكلام، هو

---

(١) الكهف آية ١٠٣، ١٠٤جزء ١٦.

(٢) سورة فصلت آية ٢٢ جزء ٢٤.

(٣) شطر بيت للمتنبي.

أجل العلوم قاطبة، واعلاها منزلة، وأشدها خطرا.

فحياة الإنسان في حاضره ومستقبله، فرداً كان أو أسرة، جماعة أو أمة متوقف عليها في دنياه وآخرته، وكذلك العلوم والمعارف كلها، شرعية وغير شرعية متوقفة على معرفة الله تعالى معرفة صحيحة، بل هي مبنية على معرفة الله أولاً، ولا يمكن أن يشرع فيها وتؤصل أصولها، وتفرع فروعها إلا بعد أن تحقق العلم بوجود الله والمعرفة به، إذ هي بالحقيقة متفرعة عنه ومبنية عليه.

وهذا العابد، الذي يريد أن يعبد الله، كيف يعبده وهو لا يعرفه، أو كيف يصحح العبادة ويبحث عن شروطها وأركانها، وواجبها ونفلها، وصحيحها، وفاسدها قبل أن يعرف أصل الأصول، أو أساس الأسس.

(لا يمكن التعبد ممن لا يعرف معبوده. ولا الذكر ممن لا يعرف مذكوره. ولا التقوى ممن لا يعرف آمره وناهيه. ولا طلب المباح ممن لا يعرف المبيح).

(على أن العالم المخالف بجوارحه أحسن حالاً من المقلد، لقول الجمهور بعدم صحة إيمانه فلا عمل له، ولقليل العمل مع العلم، أفضل من كثير العمل بلا علم، بل لا أثر للعمل بلا علم أصلاً، وقد شدد رهبان النصارى ومن في معناهم من الجهلة، على أنفسهم في الدنيا تشديداً بليغاً وهو لا ينفعهم في الآخرة)[1].

وهذا الصوفي[2] كيف يستطيع أن يأخذ بعزائم الأمور، ويواصل

---

(١) انظر هداية المريد لعقيدة أهل التوحيد صفحة (٢١) وكذلك صفحة (٢٢) من الكتاب المذكور الناشر جامعة السيد محمد ابن علي السنوسي الإسلامية، ١٣٨٨-١٩٦٨.

(٢) التصوف: الغرض من التصوف هو تصفية القلب عن غير الله والصعود بالروح إلى عالم التقديس بإخلاص العبودية للخالق. وقال الكتاني: التصوف خُلُق، فمن زاد عليك في الخلق، فقد زاد عليك في الصفاء. الرسالة القشيرية ١ - ١٤٩ عوارف المعارف: ١٣٢

سيره وسفره إلى الله، ويحيي ليله ويصوم نهاره، ويؤثر التعب على الراحة، والجوع على الشبع، والنحول والذبول على الصحة والعافية؟ كيف يفعل ذلك قبل أن يصحح علمه بمعبوده، أو قبل أن يعرف ربّه معرفة صحيحة.

وكم هلك من هلك من هؤلاء وأولئك ممّن شبّهوا أو جسّموا أو عطّلوا أو وقعوا بالله بما لا يليق، وكم انقطع من انقطع وهلك من هلك.

وكم لبّس إبليس على من لبّس، وكيف أفلس في هذا الطريق من أفلس..

وقد نفى الله - تبارك وتعالى - العلم عن كل من لم يعرفه، وان عرف من الدنيا ما عرف، فقال تعالى: ﴿ولكن كثيراً من الناس لا يعلمون - يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا، وهم عن الآخرة هم معرضون﴾(١).

(يعني علمهم منحصر في الدنيا، وأيضاً لا يعلمون الدنيا كما هي، وإنما يعلمون ظاهرها وملاذّها وملاعبها ولا يعلمون باطنها، وما هي مضارها ومتاعبها ويعلمون وجودها الظاهر ولا يعلمون فنائها)(٢).

(ولو بدا في الظاهر أنهم علماء وأنهم يعرفون الكثير، ذلك أن علمهم سطحي يتعلق بظواهر الحياة، ولا يتعمق سننها الثابتة، ولا يدرك نواميسها الكبرى وارتباطاتها الوثيقة، (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا) ثم لا يتجاوزون هذا الظاهر، ولا يرون ببصيرتهم ما وراءه.

(١) سورة الروم آية ٦ - ٧.
(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي صفحة ٩٧ جزء ٢٥.

- وظاهر الحياة الدنيا محدود صغير، مهما بدا للناس واسعاً شاملا، يستغرق جهودهم بعضه، ولا يستقصونه في حياتهم المحدودة، والحياة كلها ظرف صغير من هذا الوجود الهائل، تحكمه نواميسُ وسنن في كيان هذا الوجود وتركيبه-

والذي لا يتصلُ قلبه بضمير ذلك الوجود، ولا يتصل حسه بالنواميس والسنن التي تصرّفه، ويظل ينظر وكأنه لا يرى، ويبصر الشكل الظاهر والحركة الدائرة، ولكنه لا يدرك حكمته ولا يعيش بها ومعها، وأكثر الناس كذلك، لأن الإيمان الحق هو وحده الذي يصل ظاهر الحياة بأسرار الوجود، وهو الذي يمنح العلم روحه المدرك لأسرار الوجود، والمؤمنون هذا الإيمان قلّة في مجموع الناس، **ومن ثمّ تظل الأكثرية محجوبة عن المعرفة الحقيقية)**[1].

وقال بعضهم: (ولكن أكثر الناس لا يعلمون)، قيل لا يعلمون شيئاً، أو ليسوا من أولي العلم حتى يعلموا ذلك، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهو ما يحسونه من زخارفها وملاذّها وسائر أحوالها الموافقة لشهواتهم، الملائمة لأهوائهم، المستدعية لانهاكهم فيها وعكوفهم عليها، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: (يعلمون منافعها ومضارها، ومتى يزرعون ومتى يحصدون، وكيف يجمعون وكيف يبنون، وقال يعلمون ظاهراً حقيراً خسيساً.

وقيل هو بمعنى الزائل الذاهب، أي يعلمون أمراً زائلاً لا بقاء له ولا عاقبة من الدنيا.

---

(١) في ظلال القرآن صفحة ٢٨ جزء ٢١.

وقال صاحب الكشّاف:[1] (الجاهل هو الذي لا يعلم شؤونه تعالى، ولا يتفكر في ذلك، هو الذي قصر نظره على ظاهر الحياة الدنيا، فجعل (تعالى) علمهم والجهل سواء).

(تقريراً لجهالتهم، وتشبيهاً لهم بالبهائم المقصورِ ادراكها على ظواهر الدنيا الخسيسة)[2].

وكما جعل تعالى معرفته هي المعرفة الحقيقية، ونفى حقيقة العلم والمعرفة عن كل علم ومعرفة مهما بلغت، ان لم توصل إليه وتدل عليه، فهي ليست علماً ولا معرفة، وان ظنّها كثير من الناس.

كذلك فإن إطلاق العالم أو العارف، لا يكون إلا لمن عرف الله وعلم شؤونه.

أما أولئك الذين يسميهم الناس بالعلماء لأنهم أدركوا كثيراً من أسرار الوجود أو عرفوا كثيراً من المسائل، ولكنهم لم يعرفوا الله، فانهم بالواقع ليسوا علماء ولا عارفين.

قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[3].

فالمفهوم من هذه الآية أن الذين يعرفون ربهم ويخشونه إنما هم العلماء وحدهم ووحدهم هم العلماء. ولذلك قصر الله تعالى اسم العلماء عليهم ليدل أن غيرهم ممن لا يعرفون الله ولا يخشونه لا يستحقون هذا اللقب العظيم.

---

(١) هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر أبو القاسم جارالله الزمخشري الخوارزمي المعتزلي ت ٥٣٨هـ.

(٢) بتصرف من تفسير روح المعاني للألوسي صفحة ٢١- ٢٢ جزء ٢١، المطبعة المنيرية.

(٣) سورة فاطر آية ٢٨ جزء ٢٢.

(وفي هذا دليل على ان العالم أعلى درجة من العابد، لأن الله تعالى قال: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[1].

فبين أن الكرامة بمقدار التقوى، والتقوى بقدر العلم، فالكرامة بقدر العلم لا بقدر العمل)[2].

(العلماء هم الذين يتدبرون هذا الكتاب العجيب (القرآن الكريم) ويستشعرون حقيقة عظمته برؤية حقيقة إبداعه، ومن ثمّ يخشونه حقاً ويتقونه حقاً ويعبدونه حقاً..

علما يستشعره القلب، ويتحرك به، ويرى به يد الله المبدعة)[3].

(المراد بالعلماء العالمون بالله عزّ وجل، وبما يليق به من صفاته الجليلة، وأفعاله الحميدة وسائر شؤونه الجميلة، لا العارفون بالنحو والصرف مثلاً، فمدار الخشية ذلك العلم، لا على هذه المعرفة فكل من كان أعلم بالله كان أخشى.

روى **الدارمي**[4] عن **عطاء**[5] قال: (قال موسى عليه السلام يا رب أي عبادك أخشى، قال: أعلمهم بي.

وفسر **ابن عباس**[6] رضي الله عنهما العلماء بالذين يعلمون أن الله

---

(١) سورة الحجرات آية ١٢ جزء ٢٦.

(٢) تفسير الرازي بتصرف، صفحة ٣١ جزء ٢٦ طبعة عبد الرحمن.

(٣) بتصرف من ظلال القرآن، صفحة ١٣٠ جزء ٢٢.

(٤) هو عبدالله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي الدارمي السمرقندي، من حفاظ الحديث وكان مفسراً وفقيهاً ومحدثاً له المسند في الحديث ت ٢٥٥هـ تذكرة الحفاظ ٢: ١٠٥.

(٥) هو عطاء بن أبي رباح، تابعي، من أجلاء الفقهاء ت بمكة سنة ١٤١هـ.

(٦) هو عبدالله بن عبد المطلب القرشي الهاشمي أبو العباس. حبر الأمة، الصحابي =

على كل شيء قدير)[1] وبالجملة فقد وردت آيات كثيرة تحث على معرفة الله أولاً، وقبل كل شيء معرفة صحيحة، ليبنى عليها الإيمان الصحيح والعقيدة السليمة والعمل الصالح.

بعض آيات المعرفة:

قال تعالى: ﴿فاعلموا انما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو﴾[2].

وهو التوجيه الى تذكرة الحقيقة الأولى التي يقوم عليها أمر النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه.

﴿فاعلم انه لا إله إلا الله﴾[3]

(وعلى أساس العلم بهذه الحقيقة باستحضارها بالضمير، تبدأ.. التوجيهات الأخرى)[4].

(وفي تقديم (العلم) للأمر بالتوحيد إيذان بمزيد شرف التوحيد، فانه أساس الطاعات ونبراس العبادات)[5].

وقال تعالى: ﴿الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن، يتنزل الأمر بينهن، لتعلموا ان الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط

= الجليل روى عن الرسول الحديث وشهد المشاهد توفي بالطائف سنة ٦٨هـ الإصابة ترجمة ٤٧٧٢.

(١) بتصرف من تفسير الألوسي صفحة ١٩١ جزء ٢٢.

(٢) سورة هود، آية ١٤ جزء ١٢.

(٣) سورة محمد آية ١٩. جزء ٢٦.

(٤) ظلال القرآن، صفحة ٦٨ جزء ٢٦.

(٥) روح المعاني للألوسي، صفحة ٢٥ جزء ٢٦ بتصرف.

بكل شيء علماً)[1].

وفي هذه الآية إشارة إلى أنه تعالى خلق ما خلق من سماوات وأرض، ليعلم الناس عظيم قدرته، وبديع صنعته وفيها من الأمر بالتدبر والاعتبار وطلب العلم والمعرفة التي تؤدي إلى ذلك.

وقال تعالى: ﴿قل هذه سبيلي، أدعوا إلى الله على بصيرةٌ أنا ومن اتبعني، وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾[2].

والبصيرة معرفة الحق بدليله، فمن لم يكن على بصيرة في عقيدته ومعرفته بالله، لم يكن متبعا للسبيل الذي دعا اليه النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال تعالى: ﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾[3].

واليقين لا ينشأ إلا عن علم ومعرفة.

من أحاديث المعرفة.

ولعل خير ما نختم به هذا البحث، بالآثار الدالة على أن معرفة الله تعالى معرفة صحيحة، هي أعظمُ العبادات وأشرفها، وهي المطلوب الأول.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا عبادة كالتفكير)[4]

أي لأنه المخصوص بالقلب، والمقصود من الخلق.

(١) سورة الطلاق، آية ١٢، جزء ٢٢.

(٢) سورة يوسف، آية ١٠٨، جزء ١٣.

(٣) سورة المدثر، آية ٣١، جزء ٢٩.

(٤) أخرجه ابن حيان عن علي رضي الله عنه، صفحة ٣٦ من دليل الفالحين جزء ٢.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر إلى السماء والنجوم، فقال أشهد أن لك ربا وخالقا، اللهم. اغفر لي، فنظر الله اليه فغفر له)[١].

وعن ابن عباس وأبي الدرداء[٢]: (تفكر ساعة خير من قيام ليلة)[٣].

وقال السري السقطي[٤]: (الفكرة خير من عبادة سنة).

لعلك تقول: قد طال التمهيد، ولم تبين لنا المعرفة الصحيحة؟ التي زعمت أنها أجل المعارف على الإطلاق.

أقول: لقد عقدنا هذا البحث لنثبت ان المعرفة الصحيحة هي معرفة الله تبارك وتعالى، وعظيم صفاته، وكريم أفعاله، وأن هذه المعرفة لم يصل إليها إلا المسلمون، ولذلك قلنا في بعض أبحاثنا السابقة:

---

(١) أخرجه الثعلبي عن أبي هريرة، المصدر المذكور صفحة ٣٦.

(٢) هو عويمر بن مالك بن زيد بن قيس بن أمية وقيل اسمه عامر بن مالك، وعويمر لقب تأخر إسلامه وكان آخر أهل داره إسلاماً وكان فقيهاً. شهد ما بعد أحد من المشاهد وتوفي قبل أن يقتل عثمان بسنتين. أسد الغابة ٥: ١٨٥ - ١٨٦.

(٣) و (٧) دليل الفالحين جزء ٢ صفحة ٣٧.

وانظر كذلك، رياض الصالحين للإمام العارف بالله تعالى محي الدين النووي، متوفي سنة ٦٧٦، وانظر كذلك شرحه: دليل الفالحين لطريق رياض الصالحين، للعلامة محمد علي ابن محمد ابن ابراهيم ابن علان الصديق الشافعي المكي ٩٩٦- ١٠٥٧هـ، مطبعة حجازي.

(٤) هو أبو الحسن سري بن المفلس السقطي. قال الشعراني: كان أوحد أهل زمانه في الورع والأحوال السنية وعلم التوحيد ت ٢٥٣هـ. طبقات الصوفية للسلمي ص ١٤ - ١٦.

(فانك لن تجد دينا من الأديان، عرف الله تبارك وتعالى، ووصفه بكل كمال، ونزهه عن كل نقصان سوى الإسلام، والمسلمون وحدهم هم الذين يعرفون الله تعالى ويقدسونه ويعظمونه، ويمجدونه، وأنك لو قرأت كتب الديانات الأخرى، لوجدت فيها ما لا يليق أن ينسب الى بشر عادي..، فكيف بالخالق تبارك وتعالى-)[١].

﴿سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا﴾[٢].

وسيظهر لك، صحة هذه الدعوى، عندما نجلي لك الأمر بالمقارنة بين فكرة معرفة الآله عند المسلمين من جهة، وبين اليهودية والنصرانية وغيرهما من الأديان من جهة أخرى.[٣]

غير أننا نريد أن نبين قبل ذلك اموراً لا بد منها لاستيفاء البحث حقه، وهي الأمور الآتية:

(١) ما هو أول واجب على المكلف؟

(٢) ما هي أسباب العلم، وطرقه والسبلُ المؤدية إليه؟.

(٣) هل يجب أن تكون المعرفة عن اجتهاد؟ أم يكتفى بالتقليد؟.

(٤) الإيمان والاسلام وما يتعلق بهذا الموضوع.

---

(١) بحث العبادة والعبّاد للمؤلف مجلة كلية الإمام الأعظم، العدد الرابع لسنة ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م) صفحة ٤٩٠، مطبعة دار الإرشاد، بغداد.

(٢) سورة الإسراء آية ٤٢ جزء ١٥.

(٣) سيظهر لنا كتاب مستقل بهذا الموضوع فيه المقارنة بين العقيدة الإسلامية وبين عقائد أهل الديانات الأخرى أما هذه الرسالة فهي كالمقدمة لهذا البحث.

المبحث الأول :

أول واجب على المكلف

لعلمائنا الأولين (رضي الله عنهم)، أبحاث جليلة تدل على عمق تفكيرهم، ودقّة أنظارهم. لم يسبقهم أحد من علماء الأديان وغيرهم إليها سواء كان ذلك في علوم الأصول، أو في علوم الفروع. وهي أبحاث كانوا أول من طرقها من علماء الأديان، وهذا ما انفردنا فيه.

من ذلك، هذا البحث الذي نحن بصدده.

ما هو أول واجب على المكلف؟

اختلف علماء الكلام، في تعيين أول واجب على المكلف، وذلك على أقوال:

(١) ذهب الأكثرون، ومنهم أبو الحسن الأشعري[١]، إلى أن أول واجب على المكلف: هو معرفة الله سبحانه وتعالى- (لتكرار الحثّ على النظر في الكتاب والسنة).

(٢) وذهب المعتزلة[٢]، والأستاذ أبو إسحاق الأسفرائيني[٣]:

---

(١) هو أبو الحسن علي بن اسماعيل البصري من ذرية أبي موسى الأشعري. كان إمام أهل السنة والجماعة ت ٣٢٤هـ.

(٢) فرقة من المتكلمين ينفون القدر ويخالفون أهل السنة في بعض العقائد. على رأسهم واصل بن عطاء الذين اعتزل بأصحابه حلقة الحسن البصري.

(٣) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران أبو اسحاق. عالم بالفقه والأصول. توفي في =

إلى أنه النظر في المعرفة.

(٣) وذهب القاضي أبو بكر الباقلاني[١] وأمام الحرمين[٢]، إلى أنه القصد إلى النظر.

أَدلة المذاهب:

(١) استدل أصحاب المذهب الأول، على صحة ما ذهبوا اليه، بأن المعرفة هي الأمر المطلوب لذاتها، لا للتوسل بها إلى غيرها.

وأنها أصل المقاصد الشرعية وآكدها. وما كان كذلك، فهو أحق بأن يكون أَول الواجبات.

أما كونها (المعرفة) مطلوبة لذاتها، فلأن شأن الوسيلة انه اذا حصل المتوسل إليه بدونها، استغنى عنها.

ومعرفة الله لا يستغني عنها بحال من الأحوال.

وأما كون المعرفة المذكورة، أصل المقاصد الشرعية، فلأن جميع المقاصد والواجبات من نطق بالشهادة، وصلاة، وصوم، لا يعتبر صحيحا في نظر الشارع، إلا بعد حصول المعرفة، والتصديق القلبي.

وأما كونها آكد الواجبات، فلأن وجوبها وجوب أصول، بحيث اذا انعدمت انعدم الايمان، بخلاف غيرها من الواجبات، فان انعدامه لا يضيع الايمان.

= نيسابور سنة ٤١٨هـ طبقات الشافعية للسبكي ٣ : ١١١.

(١) هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن القاسم المعروف بالباقلاني البصري المتكلم المشهور له كتاب اعجاز القرآن وغيره ت ٤٠٣هـ.

(٢) هو أبو المعالي عبد الملك بن أبي عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني المعروف بإمام الحرمين. كان استاذاً للغزالي، وأعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي ت ٤٧٨هـ.

أدلة المذهب الثاني:

وأستدل المعتزلة، ومن وافقهم، على أن الواجب الأول هو النظر في المعرفة بما يأتي:

قالوا: انه لا يمكن الوصول إلى المعرفة إلا بعد حصول النظر .فالنظر إذاً، سابق عليها، وهو واجب بالاتفاق.

فليكن (النظر) اذاً أول الواجبات حيث كان طريق المعرفة.

أدلة المذهب الثالث:

وأستدل أصحاب القول الثالث بما يلي:

قالوا: ان النظر فعل اختياري مسبوق (بالقصد) المتقدم على جميع أجزائه، فكان النظر حيئذ متوقفا على القصد فيكون (القصد) واجبا قبله (أي) قبل النظر.

التوفيق بين هذه الأقوال:

ولكن إذا أمعنا النظر في تلك الأقوال والأدلة، ظهر لنا ان الخلاف لفظي، وليس خلافا حقيقيا، وذلك عندما نلاحظ ما يأتي:

يؤخذ من دليل الأكثرية، وهم أصحاب القول الأول أنه لوحظ في الدعوى الواجبُ المقصودُ بالذات- الذي ليس وسيلة إلى غيره، ولا نزاع في أن معرفة الله واجبة ومقصودة لذاتها.

.ويلاحظ من الدليل الثاني والثالث، أنهم لا حظوا في الدعوى مطلق ما يجب تحصيله أولا، وان كانت وسيلة إلى غيرها.

وهذا لا يصدق على المعرفة.

غير أن صاحب القول الثاني، لاحظ الوسيلة التي تباشر المقصود

بالذات، فحكم بأنه النظر.

(٣) وصاحب القول الثالث: لاحظ أول وسيلة يسلكها طالب المعرفة فحكم بأنه القصد إلى النظر)[١]

طريق الوجوب:

وكما اختلفوا في أول واجب على المكلف، كذلك أختلفوا في مصدر هذا الوجوب.

- هل أن المعرفة واجبة بالشرع؟

---

(١) بتصرف، من كتاب القول السديد في علم التوحيد، صفحة ٦٦ - ٦٨ من تأليف شيخنا المرحوم العلامة الأستاذ محمود أبو دقيقة، استاذ علم التوحيد بكلية أصول الدين (مقرر سنة ثانية) ١٣٥٤هـ - ١٩٣٦م، مطبعة ومجلة الإرشاد وانظر كذلك كتاب الوسيلة في شرح الفضيلة، للشيخ عبد الكريم محمد المدرس، صفحة ١٤٤ الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م مطبعة الإرشاد بغداد.

انظر كذلك شرح هداية المريد لعقيدة أهل التوحيد - للشيخ محمد عليش صفحة ٦..

قال بعض المعتزلة: أول واجب الشك، وهو قول فاسد، لأن الشك مما يطلب زواله فكيف يطلب حصوله، والشك قبيح بعينه، فكيف يكون أول واجب؟

وقيل أول واجب: الإيمان، أي تصديق النفس بعد معرفتها بقولها آمنت وصدقت..

وقيل أول واجب الإقرار بالله سبحانه وتعالى، وبرسله عليهم الصلوات والسلام عن عقد مطابق، وإن لم يكن بدليل.

وقيل أول واجب الإسلام، أي الانقياد للأمر والنهي بالأعمال.

وقيل أول واجب: اعتقاد وجوب النظر.

وقيل أول واجب: التقليد.

وقيل أول واجب: وظيفة الوقت الذي كلف فيه.

وقيل أول واجب: التمييز بين المعرفة والتقليد.

بتصرف، من كتاب هداية المريد صفحة ٦.

- أم أنها واجبة بالعقل؟

ذهب أهل السنة ومن تبعهم الى ان الموجب هو الشرع.

وذهب المعتزلة ومن والاهم، إلى أن الذي أوجب معرفة الله وحكم بهذا الوجوب هو العقل.

ولكل من هذين المذهبين ادلته وبراهينه...

المبحث الثاني

أسباب العلم

ما هي أسباب العلم؟

- ما هي أبوابه ونوافذه المؤدية إليه؟
- ما هي وسائله وسبله الموصلة؟
- الفاظ، وتعابيرُ مختلفة، والمعنى واحد.

لما خلق الله الإنسان، وأراده على خلافة الأرض، ورشّحه على سلطانها، زوّده الله بهذه القوى الهائلة، من عقل وإدراك، وأعطاه القدرة على العلم والاستعداد لكل معرفة. وجعل له طرقاً يستفيد منها العلم، ويطل منها على المعرفة، وهذه الطرق لا تعد ولا تحصى -[1]

قال تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾[2].

(والقرآن يعبّر بالقلب، ويعبر بالفؤاد، عن مجموع مدارك الإنسان الواعية، وهي تشتمل ما اصطلح على أنه العقل، وتشمل كذلك قوى الإلهام الكامنة المجهولة الكنه والعمل)[3].

(١) انظر كتاب الإنسان ذلك المجهول.
(٢) سورة النحل آية ٧٧ جزء ١٤.
(٣) ظلال القران صفحة ٨٥ جزء ١٤.

والآية صريحة في ان الإنسان خرج من بطن امه لا يعلم شيئاً ، ولا يدرك شيئاً ولكن الخبير العليم تبارك وتعالى ، زود هذا الإنسان بهذه القوى العجيبة وهي السمع والبصر والفؤاد وجعلها منافذ لذلك الخزان الأكبر الذي يتسع لعلوم السماء والأرض ، ولا يضيق بشيء منها .

(والمعنى جعل لكم هذه الأشياء آلاتٍ تحصّلون بها العلم والمعرفة ، بأن تحسّوا بمشاعركم جزئيات الأشياء ، وتدركوها بأفئدتكم ، وتنتبهوا لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرير الإحساس ، فيحصل لكم علوم بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية)[1] .

أما قوله تعالى : ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد ، كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾[2] .

فانها لم تأت لبيان مرادنا السابق الذي دلت عليه الآية السابقة وإنما أتت لبيان أن المعرفة الناشئة عن الظن لا يجوز الاعتماد عليها ما لم تصل إلى حد العلم الجازم .

كما أن هذه الآية تفيد بمنطوقها مسؤولية جميع هذه الجوارح .

(وهذه الكلمات القليلة تقيم منهجاً كاملاً للقلب والعقل يشمل النهج العلمي الذي عرفته البشرية حديثاً جداً ، فالتشبت من كل خبر ، ومن كل ظاهرة ، ومن كل حركة قبل الحكم عليها .

هذا هو ما دعا إليه القرآن الكريم ، ومنهج الإسلام الدقيق .

---

(١) تفسير الألوسي ، صفحة ٢٠١ جزء ١٤ .

(٢) سورة الإسراء ، آية ٣٦ جزء ١٥ .

ومتى استقام القلب والعقل عن هذا المنهج، لم يبق مجال للوهم، والخرافة في عالم العقيدة، ولم يبق مجال للظن والشبهة في عالم الحكم والقضاء والتعامل.

ولم يبق مجال للأحكام السطحية، والفروض الوهمية في عالم البحوث والتجارب والعلوم.

والأمانة العلمية التي يشيد بها الناس في العصر الحديث، ليست سوى طرق من الأمانة العقلية والقلبية التي أعلن القرآن تبعتها.)[1]

أما قوله تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾.

فهي دعوة صريحة بالنهي عن اتباع ما لم يعلمه الإنسان علم اليقين، وما لم يتثبت من صحته، من قول يقال، ورواية تروى، ومن ظاهرة تفسر، أو واقعة تعلل، ومن حكم شرعي، أو قضية اعتقادية وفي الحديث[2]: إياكم والظّن، فإنه أكذب الحديث.)[3].

هذا وقد بحث علماؤنا (أيضاً)، وكعادتهم في استقصاء الحقائق والوصول إلى لبابها وجزئيات جزئياتها، في الطرق والوسائل التي تؤدي إلى العلم، فأثبتوا الأسباب المؤدية إلى العلم اليقيني، أو المفضي إليه في الجملة لعامة الخلق.

وأبطلوا ما زعمته كثير من الفرق، من انه طريق موصل إلى العلم.

---

(١) في ظلال القرآن صفحة ٣٤- ٣٥ جزء ١٥.
(٢) رواه البخاري في كتاب الوصاية ورواه مسلم في كتاب البر.
(٣) ظلال القرآن، صفحة ٣٥، جزء ١٥، وانظر كذلك تفسير الألوسي صفحة ٧٣- ٧٤ جزء ١٥.

وإليك البيان على سبيل الإيجاز والإختصار.

الطـــرق الموصلـــة:

١ - **العقـــل:** وذلـك لأنـه القوة المدركـة وهو المستقل بذاته بالإدراك.

٢ - **الحواس الخمس الظاهرة:** وهي السمع، والبصر، والذوق، واللمس، والشم، وهي وسائل الإدراك، وآلات العقل.

٣ - **الخبـر الصادق:** ويشتمل على خبر الرسول، وما يستفاد من الخبر المتواتر.

والخبر الصادر من الرسول موجب للعلم، بحيث يستدل على صدقه، بأنه خبر من ثبت صدقه بالمعجزة، وكل خبر كذلك فهو صادق.

المتواتر: وهو ما تواطأ على نقله جماعة عن جماعة يؤمن اجتماعهم واتفاقهم على الكذب، وشروطه:

١ - أن يكون منشأه الإحساس.

٢ - أن يكون المخبر جمعاً.

٣ - أن يستحيل عادة تواطئهم على الكذب.

والخبر المتواتر يفيد العلم بالضرورة.

ولما كان مرادهم من الطرق المؤدية للعلم، هي الطرق العامة لكافة الخلق وعامتهم، لذلك اكتفوا بالأمور المتقدمة لكونها أسباباً يشترك فيها كافة الناس، ولا يخص فريقاً دون فريق.

أما الطرق الأخرى التي اعتمدتها بعض الفرق، زاعمة انها موصلة إلى العلم فقد أبطلها وردها جمهور علمائنا، لكونها لا تصلح

طرقاً عامة لجميع الخلق، وإليك البيان:

١ - **زعمت الصوفية أن الإلهام طريق العلم.**

قال العلماء: إن الإلهام لا يصلح أن يكون طريقاً للعلم لكافة الناس، لأن الإلهام وهو الواردات والخواطر التي ترد على (القلب) لا تكون إلا لبعض الناس الذين صفت قلوبهم، وزكت نفوسهم.

(وقيل: الإلهام إلقاء الله تعالى المعنى بالقلب، عن طريق الفيض)[1]. لذلك لا يصلح أن يكون سبباً عاماً للعلم.

٢ - **زعم قوم آخرون: ان الرياضات والمجاهدات سبب العلم.**

رده علماؤنا بقولهم: ان الرياضات لا يسلكها كافة الخلق، وإنما هي طريق للبعض من أصحاب العزائم والقوى.[2]

وهناك طرق أخرى للمعرفة، ولكنها لا تؤدي إلى العلم اليقيني، كالحدس والوجدان والتجربة، وخبر الواحد، والتقليد والكشف.

وقد أثبت العصر الحديث طرقاً كثيرة للمعرفة، غير أنها لا تؤدي إلى العلم اليقيني من ناحية، أو لأنها خاصة بأفراد من الناس، امتازوا بنوع من العبقرية، أو بطرق أخرى فنية مثلاً: كقراءة الأفكار، والتنويم المغناطيسي، وعالم الأرواح.. الخ..

وكلها لا تصلح للعلم المفيد لليقين كما ذكرنا.

---

(١) صاحب الإلهام ليس معصوماً عن الخطأ، لاحتمال أن يكون من وساوس النفس، أو تلبيسات الشيطان، فلا يجب عليه العمل، ولا على أتباعه وفي ذلك خلاف معروف.
انظر الوسيلة شرح الفضيلة صفحة (١٢٩ - ١٣١).

(٢) بتصرف، من شرح العقائد النسفية، للإمام السعدي التفتازاني، صفحة (٢٥ - ٤٦) وانظر كذلك، كتاب الوسيلة في شرح الفضيلة، صفحة (١٢٥ - ١٢٩).

المبحث الثالث:

الاجتهاد والتقليد

هل يجب أن تكون معرفة الله ناشئة عن اجتهاد؟!

أم هل يجوز التقليد في معرفة الله؟!

لقد اتفق العلماء على جواز التقليد في الفروع، ولكنهم اختلفوا في الأصول، ونعني بالأصول: كالعلم بوجود الله ووحدانيته.

فبعضهم: أجاز أن يكون إيمان الانسان ناشئاً عن التقليد.

وبعضهم منع التقليد، وأوجب على المسلم الاجتهاد، على معنى انه يجب عليه أن يكون إيمانه ناشئاً عن برهنة واستدلال ونظر وفكر، وهذا معنى وجوب الاجتهاد.

ولأهمية هذا الموضوع وخطورته، نود أن نتوسع به بعض التوسع، حتى يكون القارىء على صلة وبصيرة بآراء علمائنا، وعلى مدى سعة فكرهم، وبعد نظرهم.

قال صاحب[1] هداية المريد: (إعلم أن أول ما يجب قبل كل شيء على من بلغ أن يُعمل فكره فيما يوصله إلى العلم بوجود معبوده

(١) هو العلامة الشيخ محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الأشعري أبو عبدالله عالم تلمسان في عصره وتوفي سنة ٨٩٥هـ

من البراهين القاطعة، ومن الأدلة الساطعة، والتصديق بعد العلم)[1].

وقد علّق على هذه العبارة شارحه فقال[2]:

(اختلفوا في الاعتقاد الصحيح بمجرد التقليد، فقال جمهور أهل السنة ومحققوهم كالشيخ الأشعري والقاضي[3] والأستاذ[4] وإمام الحرمين: لا يصح الاكتفاء به في العقائد الدينية- وهو الحق الذي لا شك فيه.

وقد حكى غير واحد الاجماع عليه، غير معتد بخلاف الحشوية[5] وبعض الظاهرية[6]، لظهور فساده وعدم متانة علمهم، ولانعقاد اجماع السلف قبلهم على ضده..

---

(١) بتصرف، انظر كتاب هداية المريد صفحة (٤).

(٢) الشيخ الجليل محمد عليش انظر ترجمته في آخر كتابه صفحة (١- ٢)

(٣) هو القاضي أبو بكر الباقلاني ت ٤٠٣هـ.

(٤) هو الأستاذ أبو اسحق الاسفراييني ت ٣٢٤هـ.

(٥) الحشوية المشبهة هم من فرق المشبهة وهم أصحاب الحديث الحشوية: بعض من ينتحل الحديث ممن وقفوا عند ظواهر النصوص الدينية ومنعوا التأويل والقياس والاجتهاد. وقالوا: إن الإيمان طريقه السمع دون العقل. منهم: مقاتل بن سليمان البلخي ت ١٥٠هـ وقال العز بن عبد السلام يرد عليهم: والحشوية المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه.

دراسات في الفرق «العقائد الإسلامية/عرفان عبد الحميد ص ٢١٨- ٢١٩».

(٦) الظاهرية من الفقهاء هم المنسوبون إلى القول بالظاهر والظاهرية من الفلاسفة هم المنكرون لمعنى الجوهر، القائلون أن الوجود الحقيقي مؤلف من الظواهر فكل ظاهرة عندهم مركبة من ظواهر أخرى أو داخلة في تركيب ظواهر أخرى. المعجم الفلسفي ٢: ١٣.

وحكى الإمام ابن عرفة[1] عالم المغرب ثلاثة أقوال في المقلد:

١ - إيمانه غير عاص بتركه النظر وكان قادراً عليه.

٢ - إيمانه عاصياً بتركه النظر إذا كان قادراً عليه.

٣ - المقلد كافر مطلقاً بتركه النظر قادراً عليه أو لم يقدر.

أدلـة الفريـق الأول:

يدل على مذهب الجمهور، قول الله سبحانه وتعالى:

﴿فاعلموا انما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلاّ هو﴾[2]

وقوله تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلاّ الله﴾[3].

وفي هاتين الآيتين أمر بالعلم لا بالاعتقاد.

وقال تعالى: ﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير، وان الله قد أحاط بكل شيء علما﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾[5].

واليقين هو العلم.

ويدل على وجوب الاجتهاد أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله سبحانه وتعالى، أمر عباده المؤمنين بما أمر به عباده المرسلين)[6]. ومعلوم ان التقليد لا يصح في حق المرسلين.

---

(١) هو محمد بن محمد بن عرفة الروغمي أبو عبدالله. إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره ت ٨٠٣هـ. ولنا دراسة مفصلة فيه ولا تزال مخطوطة.

(٢) سورة هود آية (١٤)، جزء (١٢).

(٣) سورة محمد، آية (١٩)، جزء (٢٦).

(٤) سورة الطلاق، آية (١٢) جزء (٢٢).

(٥) سورة المدثر، آية (٣١) جزء

(٦) أخرجه الترمذي في سننه.

ومما يدل على أن معرفة الله يجب أن تكون ناشئة عن اجتهاد الآيات الكريمة الكثيرة التي وردت في القرآن الكريم، وفيها ذم للتقليد، وأمر بالنظر والاعتبار.

قال تعالى: ﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض، وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾[١].

وقال تعالى: ﴿أولم يتفكروا في أنفسهم، ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿إن في خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، وبثّ فيها من كل دابة، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لأيات لقوم يعقلون﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار، لآيات لأولي الألباب، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك، فقنا عذاب النار﴾[٤].

ومما يدل عليه أيضاً، ما نقله بعضهم من اجماع الصحابة على وجوب النظر.

---

(١) سورة يونس، آية (١٠١) جزء (١١)
(٢) سورة الروم، آية (٨) جزء (٢١).
(٣) سورة البقرة، آية (١٦٤).
(٤) سورة آل عمران، آية (١٩٠- ١٩١) جزء (٤).

وبالجملـة، فالذي حكاه غير واحد عن جمهور أهل السنة ومحققيهم، ان التقليد لا يكفي في العقائد.

أدلـة الفريـق الثانـي:

وقد استدل من مال إلى صحة التقليد ورجحانه على الاجتهاد في التوحيد بأوجه.

١ - أحدها أن **أبا بكر**[١] **وعمر**[٢] وسائر الصحابة رضي الله عنهم ماتوا ولم يعرفوا الجوهر والعرض، حتى قال أحدهم لو لم يدخل الجنة إلا من عرف الجوهر والعرض لبقيت خالية.

٢ - قال بعض السلف عليكم بدين العجائز.

وقال **الفخر الرازي**[٣] عند موته اللهم إيماناً كإيمان العجائز.

وقال **عمر بن عبد العزيز**[٤] رضي الله عنه لمن سأله عن أهل الأهواء، عليك بدين الصبي الذي في الكُتّاب ودين الاعرابي- ودع ما سواها.

---

(١) هو عبدالله بن أبي قحامة عثمان بن عامر بن كعب التميمي القرشي، أبو بكر، وهو أول الخلفاء الراشدين وأول من آمن بالرسول ﷺ توفي بالمدينة عام ١٣هـ الإصابة ترجمة ٤٨٠٨.

(٢) هو عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي أبو حفص ثاني الخلفاء وأول من لقب بأمير المؤمنين. قتله أبو لؤلؤة فيروز الفارسي غيلة في المدينة سنة ٢٣هـ. الإصابة ترجمة ٧٣٨هـ.

(٣) هو الإمام أبو عبدالله محمد بن العمر بن الحسين بن حسن بن علي التميمي البكري الطبرستاني الرازي الملقب فخر الدين. اشتهر بكتاب مفاتيح الغيب المشهور بالتفسير الكبير توفي ٦٠٦هـ وفيات الأعيان. ١/٦٠٠.

(٤) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي أبو حفص الخليفة الصالح العادل توفي سنة ١٠١هـ فوات الوفيات ٢: ١٠٥.

٣ - نرى بعضَ المقلدين أقوى إيماناً، وأرسخَ اعتقاداً ممن نظر في علم التوحيد.

وقد مال الإمام أبو حامد الغزالي[١] إلى هذا الرأي، وكفاية التقليد، بل ذهب إلى أن إيمان المقلد أقوى من الإيمان الناشىء عن دليل، وقال ان الإيمان الناشىء عن برهان، يعرض له الزوال لعروض شبهه، وسيأتي نقل كلامه كله في هذا الموضوع.

مناقشة هذه الأقوال:

قال السنوسي[٢]: لا يخفى فساد كل هذه الأقوال.

وردّ على القول الثالث، وهو رجحان إيمان بعض المقلدين على إيمان بعض الناظرين، انه يلزم عليه رجحان التقليد على التحقيق، وهذا باطل، ولا يرضى به عاقل.

مع العلم أن الجزم المستند إلى مجرد التقليد الذي يلزمه قبول احتمال النقيض، يكون مساوياً للجزم الذي أنتجه البرهان الذي لا يحتمل بوجه من الوجوه، وهذا محال.

٢ - وما حكي عن بعض السلف:

عليكم بدين العجائز، وقول عمر: عليك بدين الصبي.. الخ، وقول الفخر الرازي عند موته: اللهم إيماناً كإيمان العجائز.

هذه الأقوال وما شابهها، لا تدل على صحة التقليد، وغاية ما

---

(١) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الملقب بحجة الإسلام زين الطوسي الفقيه الشافعي توفي سنة ٥٠٥هـ. طبقات الشافعية للسبكي ٤: ١٠١.

(٢) هو العلامة الشيخ محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الأشعري أبو عبدالله: عالم تلمسان في عصره وتوفي سنة ٨٩٥هـ معجم المطبوعات ١٠٥٨.

تدل عليه: الأمر بالتمسك بما أجمع عليه السلف من الصحابة والتابعين، حتى وصل علمه إلى من ليس أهلاً للنظر كالعجائز والصبيان في الكُتّاب والاعراب في البادية، ويكون مرادهم أيضاً ترك ما أحدثته أصحاب المذاهب المبتدعة، كالقدرية[1]، والمرجئة[2]، والجبرية[3]، والروافض[4]، ونحوهم ممن لم يوجد في عصور السلف الصالح.

ويدل على هذا التأويل الذي ذكرناه، أن **عمر بن عبد العزيز** قد قال ما قال جواباً للسائل عن أهل الأهواء، فكأنه قال: عليك في دينك ما كان عليه السلف وتلقاه منه الخلف، ودع ما يناقض ذلك مما أحدثته المبتدعة.

والظاهر أن العجائز والصبيان والأعراب، في البادية في ذاك الزمان، كان عندهم من رسوخ العقيدة ومعرفة في الدين، مثلما كان لدى السلف الصالح رضي الله عنهم، لعدم ظهور الأهواء والمبتدعة.

وما روى عن **الفخر الرازي** عند حضور الموت: اللهم إيماناً كإيمان العجائز فانه محمول على أنه خاف على نفسه من تشتت فكره،

---

(١) قوم ينكرون القدر ويقولون أن كل إنسان خالق لفعله.

(٢) فرقة إسلامية لا يحكمون على أحد من المسلمين بشيء بل يرجئون الحكم إلى يوم القيامة ومن أقوالهم: «أنه لا يضر مع الإيمان معصية ولا ينفع مع الكفر طاعة».

(٣) مذهب من يرى أن كل ما يحدث للإنسان قد قدر عليه أزلاً فهو مسير لا مخير وتطلق على معتنقي هذا المذهب (جبرية).

(٤) فرقة من الشيعة، قال الأصمعي: سموا بذلك لأنهم كانوا بايعوا زيد بن علي بن أبي طالب ثم قالوا له تبرأ من الشيخين فأبى وقال: كانا وزيري جدي فتركوه ورفضوه فسموا رافضة.

وقيام الشبه فلجأ إلى الله هروباً من هذه الأفكار والشبه، وقد يعلم سبب دعائه على ما علم من حاله من ولوعه بحفظ آراء الفلاسفة وأصحاب الأهواء وتكثير شبههم وتقويتها، مع ضعفه عن تحقيق الجواب عن كثير منها على ما ظهر من تأليفه، ولقد استرقّوه في بعض العقائد، فخرج فيه إلى قريب من شنيع اهوائهم، ولقد حذر الشيوخ من النظر في كثير من تأليفه[1].

قلت، وهذه التهمة الموجهة إلى الشيخ الرازي- (عفا الله عنه وغفر له) عرفناها في مؤلفه في التفسير الكبير، فكثيراً ما يأتي بالشبهة فكان تارة لا يجيب عليها البتة، وتارة يجيب عليها بجواب ضعيف. ولذا جمع بعض العلماء هذه الشبه، وأجاب عليها بمؤلف لطيف لا يزال مخطوطاً[2].

٣ - وأما الأول وهو قوله: مات أبو بكر وعمر وسائر الصحابة رضوان الله عليهم، ولم يعرفوا **الجوهر**[3] من **العرض**، فهذا دليل لا يصلح على كفاية التقليد.

---

(١) انظر عليش، صفحة (١٤).

(٢) ذكر هذا المخطوط د. محسن عبد الحميد في كتابه الرازي مفسراً ص ١٩٤.

(٣) للجوهر والعرض معان كثيرة تلخص فيما يلي: (أ) العرض ضد الجوهر لأن الجوهر هو ما يقوم بذاته ولا يفتقر إلى غيره ليقوم به، على حين أن العرض هو الذي يفتقر إلى غيره ليقوم به، فالجسم جوهر يقوم بذاته، أما اللون فهو عرض، لأنه لا قيام له إلا بالجسم. وكل ما يعرض في الجوهر من لون وطعم وذوق، ولمس، وغيره، فهو عرض لاستحالة قيامه بذاته (ب) العرض ضد الماهية وهو ما لا يدخل في تقويم طبيعة الشيء أو تقويم ذاته، كالقيام والقعود للإنسان فهما لا يدخلان في تقويم حاجته.

دار الكتاب اللبناني ط١ / المعجم الفلسفي / جميل صليبا ٢: ٦٩.

ومن المعلوم أن الصحابة رضوان الله عليهم، لا يحتاجون إلى مثل هذه المصطلحات لتصحيح عقيدتهم، أو لإقامة البرهان والدليلِ على طريق المناطقة.

كما أنه لا يجوز أن يقال انهم لا يعرفون العربية لأنهم لا يعرفون الفاعل والمفعول، فالعربية عندهم سليقة وطبع، فهم لا يحتاجون إلى مثل هذه المصطلحات وأمثالها من سائر العلوم. وكذلك لا يحتاجون إلى مصطلحات المناطقة، وأساليب المتكلمين، وذلك لسلامة عقولهم، وقرائحهم وطهارة نفوسهم وفطرهم، وهم الذين شاهدوا التنزيل، وصاحبوا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

وقد شنّع العلماء على الفخر الرازي لقوله: (إن المقلد من أهل النجاة والاّ يلزم تكفيرُ أكثر الصحابة والتابعين، إذ نعلم بالضرورة أن أكثرهم لم يعرف أكثر هذه الأدلة).

فقالوا: انها إساءة أدب، وخلسة من الشيطان، وزلّة من الزلات.

ومقالته هذه مقالة من توهّم ان العقائد إنما تعرف بالتمشدق باصطلاحات أحدثها المتأخرون، وصور تركيبات للأدلة على نهج أصول المنطق لم يعن بها المتقدمون.

بل المقصود إنما هو معرفة الحق، والنفوس الزكية غنية في أنظارها عن تلك القوانين المصطلح عليها. فالمدار على معرفة الله تبارك وتعالى معرفة صحيحة.

والقرآن العظيم مملوء بالحجج والبراهين التي لا تحصى كثرة. مع ما بينه لهم المعلم الأكبر صلى الله عليه وسلم، ومن هنا يعلم أن معرفة الصحابة لم تكن عن تقليد.

وعلى كل، فإن التصميم على العقائد بدون تحصينها بالبراهين وحياطتها بالأدلة، يخشى على صاحبها زوال هذه العقيدة عند عروض أدنى شبهه)[١].

(والذي أوجب النظر من المحققين لم يرد به النظر على طريق المتكلمين، وقال إن المعتبر هو النظر على طريق العامة)[٢].

وقال التاج السبكي[٣]: (انه إن كان التقليد أخذاً بقول الغير مع احتمال شك أو وهم فلا يكفي.

وإن كان جزماً فيكفي، خلافاً لأبي هاشم[٤])[٥].

رأي الإمام الغزالي:

ولأهمية الموضوع هذا، وما ثار حوله من أقاويل وحجج، نرى من المفيد أن نستمع إلى رأي حجة الإسلام أبي حامد الغزالي في كتابه (فيصل التفرقة)[٦]:

قال: (من أشد الناس غلواً وانحرافاً، طائفة من المتكلمين كفّروا

---

(١) أنظر التفاصيل والأقوال المختلفة مع أدلتها في تفسير الألوسي صفحة (٦١) جزء (٢٦) في تفسير قوله تعالى (فاعلم انه لا إله إلا الله).

(٢) الألوسي صفحة (٦١). جـ٢٦.

(٣) هو قاض القضاة تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب بن أبي الحسن بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الشافعي ت ٧٧١هـ.

(٤) هو عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي. عالم بالكلام ومن كبار المعتزلة وتبعته فرقة تسمى (البهمشمية) نسبة الى كنيته (أبي هاشم) وله مصنفات في الاعتزال ت في بغداد سنة ٣٢١هـ وفيات الأعيان ١ : ٢٩٢.

(٥) الألوسي صفحة (٦٢).جـ٢٦

(٦) ذكره حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون ٢ : ١٣٠٤ طبع بالقاهرة سنة ١٣١٩ بعنوان رسالة في الوعظ والعقائد. أنظر مؤلفات الغزالي عبد الرحمن بدوي ص ١٦٧.

عوّام المسلمين، وزعموا أن من لا يعرف الكلام معرفتنا، ولم يعرف الأدلة الشرعية بأدلتنا التي حررناها فهو كافر. فهؤلاء ضيقوا رحمة الله الواسعة على عباده أولاً، وجعلوا الجنة وقفاً على شرذمة يسيرة من المتكلمين ثم جهلوا ما تواترت به السنة ثانياً، إذ ظهر من عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعصرِ الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين كلهم بإسلام طوائف من أجلاف العرب كانوا مشغولين بعبادة الوثن، ولم يشتغلوا بتعليم الدلائل، ولو اشتغلوا بها لم يفهموها، ومن ظن أن مدرك الإيمان الكلام والأدلة المحررة والتقسيمات المركبة فقد أبعد.

لا بل الإيمان نور يقذفه الله تعالى في قلب عبده عطية وهداية من عنده تارة بتنبيه في الباطن لا يمكن التعبير عنه، وتارة بسبب رؤيا في المنام، وتارة بمشاهدة حال رجل متدين، وسراية نوره إليه عند صحبته ومجالسته، وتارة بقرينة حال، فقد جاء اعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، جاهلاً له منكراً ولما وقع بصره على طلعته البهية، وغرته السنية، فرآها يتلألأ منها نور النبوة، قال:

والله ما هذا بوجه كذاب، وسأله أن يعرض عليه الإسلام فأسلم.

وجاء رجل آخر فقال: أنشدك الله أبعثك الله نبيا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: بلى إني والله، الله بعثني نبيا، فصدقّه بيمينه وأسلم. فهذا وأمثاله أكثر من أن يحصى.

ولم يشتغل واحد منهم قط بالكلام وتعلم الأدلة، بل كانت تبدو أنوار الإيمان أولاً بمثل هذه القرائن، في قلوبهم لمعة بيضاء، ثم لا تزال تزداد وضوحاً وإشراقاً بمشاهدة تلك الأحوال العظيمة،

وبتلاوة القرآن وتصفية القلوب، وليت شعري من نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة احضاره اعرابياً أسلم، وقوله الدليل على أن العالم حادث، لأنه لا يخلو عن الأعراض، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث؟..

إلى غير ذلك من رسوم المتكلمين..

ولست أقول: لم تجر هذه الألفاظ، بل لم يجر أيضاً معنى هذه الألفاظ بل كان لا تنكشف ملحمة إلا عن جماعة من الأجلاف يسلمون تحت ظلال السيوف، وجماعة من الأساري يسلمون واحداً واحداً بعد طول الزمان، او على القرب، وكانوا إذا نطقوا بكلمة الشهادة عُلّموا الصلاة والزكاة، وردوا إلى صِناعتهم من رعاية الغنم أو غيرها.

نعم لست أنكر أنه يجوز أن يكون ذِكرُ أدلة المتكلمين أحد أسباب الايمان في حق بعض الناس، ولكن ذلك ليس بمقصور عليه وهو نادر أيضاً.

وساق الغزالي الكلام إلى أن قال:

والحق الصريح أن كل من اعتقد أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، واشتمل عليه القرآن حقٌّ اعتقاداً جزماً، فهو مؤمن وان لم يعرف أدلته.

فالايمان المستعار من الدلائل الكلامية ضعيف جداً. مشرف على التزلزل لكل شبهة، بل الايمان الراسخ إيمان العوام الحاصل في قلوبهم في الصبي لتواتر السماع والحاصل بعد البلوغ بقرائن لا يمكن العبارة عنها.

وفي هذا الكلام فوائد شتى ولذا نقلناه بطوله)[1].

محاولة التوفيق بين المذهبين:

ولقد أراد بعضهم التوفيق بين وجوب الاجتهاد، وبين كفاية التقليد.

١ - قال العلامة السعد[2] في شرح المقاصد:

(إن المعرفة بدليل إجمالي يرفع الناظر من حضيض التقليد، فرض عين لا مخرج عنه لأحد من المكلفين.

والمعرفة بدليل تفصيلي يتمكن معه من إزاحة الشبه، وإلزام المنكرين، وإرشاد المسترشدين، فرض كفاية لا بد من أن يقوم به البعض).

٢ - قال العلامة شهاب الدين الألوسي[3]:

(وأذهب إلى أن النظر في الدليل مطلقاً واجب على من لم يحصل له العقد الجازم إلا به، وأما من حصل له ذلك بأي طريق كان دونه، فلا يجب عليه، وكذا لا يأثم بتركه، وحكاية الاجماع على اثمه به لا يخفي ما فيها.

وهناك شبهة فطن لها الألوسي، وهي أن الذين نقلوا الاجماع على إثم المقلد قالوا بأن إيمان المقلد وجزمه حينئذ لا ثقة به، لأنه لو

---

(١) انظر تفسير روح المعاني للألوسي، صفحة (٦٤)، جزء (٢٦) بتصرف.

(٢) هو العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ت ٧٩١هـ وله كتاب المقاصد- في علم الكلام- فرغ من تأليفه سنة ٧٨٤هـ. كشف الظنون ٢ : ١٧٨٠.

(٣) هو العلامة شهاب الدين بن السيد محمود بن عبدالله ابي الثناء الألوسي المفتي البغدادي ت ١٢٧٠هـ.

عرضت شبهة فات جزمه، وبقي متردداً. بخلاف الجزم الناشيء عن الاستدلال، فانه لا يفوت بعروض الشبهة).

ثم دفع الألوسي هذه الشبهة فقال:

(إن من تمّ جزمه من غير نظر فقد أتى بواجب الإيمان، فلا وجه بتأثيمه بترك النظر بناء على مجرد احتمال عروض شبهة مشوشة لجزمه، لأن الواجب عليه أن يجزم وقد جزم. فيكون قد أدى واجب الوقت، وما ترك منه شيئاً، وكل من لم يترك واجباً معيناً في وقت معين فلا معنى لتأثيمه في ذلك الوقت من جهة ذلك الواجب)[1].

رأينا في الموضوع:

لقد أطلعناك على شيء من آثار هذه المعركة التي احتدمت بين علمائنا المتقدمين، يوم أن كانوا يغوصون على عويصات الأمور والأفكار، ويستخرجون الفرائد من مبتكرات العلوم، وحاولنا أن نقرّب إليك هذه الافكار بتسهيل عباراتها، وتحليل إشاراتها.

بقي علينا أن نبين رأينا في هذا الموضوع، وإلى أي مذهب من هذين الفريقين نميل.

هل نميل إلى رأي القائلين بوجوب الاجتهاد، وتكفير عامة الخلق؟

أم نقول كما قال الغزالي، وغيره من كفاية التقليد بل ترجيحه؟

ضناً على عقائد العامة، وميلاً إلى الأخذ بالسهولة والرخص؟

---

(١) بتصرف (زيادة ونقصان) من روح المعاني، صفحة (٦٥)، جزء (٢٦).

فنقــول:

يجب علينا أولاً أن نخرج ايمان الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام عن الموضوع، لأن إيمانهم ومعارفهم ناشئة بالضرورة عن غير كسب ولا اختيار، لما ثبت أن النبي عندما ينبأ أوّل ما ينبأ يقذف في قلبه العلم الضروري، والمعرفةُ الكاملة، والإيمانُ الكامل بكل ما يجب لله وما يجوز، وما يستحيل..

ويجب علينا ثانياً، أن نقرر المراد من أن المعرفة الناشئة عن الدليل ليس المراد منه دليل المناطقة، ولا أساليبهم، ولا ترتيباتهم.

لا نريد أن نكلف الناس بأن يدرسوا المنطق والفلسفة، وأن يبحثوا عن العرض والجوهر، ولا نريد أن نكلف جميع الناس أن يعرفوا أقسام المعرف ولا أقسام الدليل، ولا العكس والتناقض، ولا البرهان والحجة، ولا اشكال القياس المنتج وغير المنتج، كل ذلك ليس من فروض العين، ولا مما أوجبه الله ورسوله على الناس، بل هي من علوم الكفاية كما نصّ عليها العلماء.

وإنما مرادنا بالدليل أي دليل يحصل به المعرفة الصحيحة والإيمان الصحيح بالله تعالى، وقد يكون ذلك عن نظر في عوالم الله، أو عن تأمل لآياته، أو إلى غير ذلك من الأدلة التي لا يمكن حصرها، والقرآن الكريم احتوى على مئات الآيات التي احتوت على الآف الدلالات، والتي هي أقوى حجة وأيسر دلالة، وأشد وقعاً في النفوس والقلوب، وأشد تمكناً في العقول من أدلة المناطقة، وبراهين الفلاسفة.

ثم نقول: لا شك أن الله تبارك وتعالى، كلّفنا بمعرفته، والإيمان

به، ولا شك أيضاً أن التكليف إنما يكون بفعل مقدور عليه بالإختيار، والفعل الاختياري فعلان:

(١) فعل يتعلق بالجوارح.

(٢) فعل يتعلق بالقلوب.

فلأجل أن يكون التكليف صحيحاً، فلا بد أن يكون الفعل الاختياري قد اكتسبه المكلف إما بقلبه، وإما بجوارحه.

فعلى هذا، فمعرفة الله والإيمان به الناشئة بسبب الأحلام، أو بسبب قذف الأنوار بالقلب، وغيرها لا دخل لها في موضوعنا، لأنه خارج عن الاختيار، فهو لاحق بمعرفة وإيمان الأنبياء.

بقي علينا أن نقول: إن كل مؤمن، مهما كان نوعه، ومهما كانت معارفه وعلومه، فإن إيمانه لا يخلو عن دليل مطلقاً.

لأننا قد قررنا أن الإيمان ناشيء عن فعل اختياري، وكل انسان إذا اتجه إلى أمر ما، أو اختار شيئاً، فإنما يختاره دون غيره، لترجيحه على سواه.

فإذاً هذا الاختيار ناشيء عن تعليل، والإنسان في فطرته مجبول على تعليل الأشياء، وعلى ربط الأمور بأسبابها.

وهذه التعليلات، قد تكون خفيّة لأنها من أعمال العقل الباطني بل هي من صميم اعماله.

وهذا ما يشير إليه علماء المنطق، حين يقسمون العلم إلى:

حصولي- وحضوري.

ويعبر عنه علماء النفس بتزاحم حالين نفسيين على الخاطر،

يكون أحدهما واضحاً جلياً حاضراً متسلطاً فيسمى في بؤرة الشعور. والآخر غامضاً متقهقراً مغلوباً، فيسمى في حالة الشعور. وقد يتبادل الحالان فيعود المغلوب غالباً، وسبحان مقلب القلوب.

وعلق شيخنا[1] على عبارته هذه فقال[2]:

(قفوا عند هذه النظريات العلمية قليلاً، ففيها إن تأملتم تأويل قوله عليه الصلاة والسلام: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)[3].

ألا ترى إلى قول العلماء أن كـــل إنسان يعرف بالفطرة والضرورة: إن لكل صنعة لا بد لها من صانع، وانه لا يصدق أن شيئاً قد حدث من غير محدث له أو فاعل، فالإنسان مجبول بالفطرة عن البحث في العلة والسبب والأثر.. الخ. وكثيراً ما يكون الدليل خفياً حتى على أصحابه، ولكنه سرعان ما يتنبه له بمجرد أن تثور شبهة أو يعرض عارض.

وهذا معنى قول العلماء: إن الإنسان مجبول على معرفة الله، فيما لو خلي مع فطرته، قبل أن يعرض لفطرته أي عارض يخدش سلامتها، أو يفسد خميرتها، والناس في الأبانة عن مراداتهم على درجات متفاوتة، حتى أهل العلم فهم على درجات في بيان مراداتهم.

وقد ضرب العلماء مثلاً على سلامة الفطرة بذلك الاعرابي الذي سُئل عن دليله على وجود الله فقال على البداهة:

---

(١) هو الشيخ محمد عبدالله دراز. وهو علم شامخ من أعلام النهضة الإسلامية من البارزين في مصر في القرن العشرين وتوفي رحمه الله في لاهور سنة ١٣٧٧هـ.

(٢) المختار صفحة ٨٠.

(٣) سنن ابن ماجه كتاب الفتن.

البعرة تدل على البعير،
وأثر السير يدل على المسير،
أفسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، أفلا يدل ذلك على اللطيف الخبير.؟

بل نستطيع أن نقول: إن كل إنسان بفطرته مجبول على التعليل، فما دام يختار شيئاً دون شيء، فلا يفعله إلا لعلة، وإذا ترك شيئاً دون شيء فلا يتركه إلا لعلة، وهذه طبيعة الإنسان مهما انحط في درجات التفكير، فهو يختار الحلو عن المر، والأحلى على الحلو، والطيب على الخبيث، والأطيب على الطيب، وهكذا وهكذا... الخ.

ألا يدل ذلك أنّ فِعله ناشيء عن دليل عقلي من عقله الباطن، فكان منه هذا الاختيار، وبالغ بعض شيوخنا[1] رحمهم الله فقال:

ان فطرة التعليل تكون في كثير من الحيوانات والبهائم، ألا ترى إنك إذا ضربت الحمار فانه يلتفت، وما التفاتته إلا لكونه يعلم بالفطرة ان هذا الضرب لا بد له من ضارب[2].

وذهب بعضهم إلى أبلغ من ذلك، فقال: إن الحيوان بفطرته ينتقل ذهنه من الجزئي إلى الكلي.

---

(١) هو يوسف بن أحمد بن نصر بن سويلم الدجوي. مدرس من علماء الأزهر الشريف وكان رحمه الله بصيراً. ومن فقهاء المالكية وله مصنفات كثيرة منها: الرد على كتاب الإسلام وأصول الحكم وكتاب سبيل السعادة وتوفي رحمه الله بمصر سنة ١٣٦٥هـ.

(٢) أنظر كتاب (سبيل السعادة) لشيختنا حكيم الإسلام، الشيخ يوسف الدجوي، رحمه الله.

ومقصودنا من ذلك كله، ان نقول، إن كل مؤمن فإنما إيمانه ناشيء عن دليل، ولكن تارة يستطيع التعبير عنه، وتارة لا يستطيع، وتارة يستخرجه من عقله الباطن بسهولة، وتارة بصعوبة، وتارة لا يستطيع اخراجه إلا بحدوث شبهة أو عارض.

وتارة يحصل الإيمان، ثم يحصل بعده الدليل.

وتارة يحصل الإيمان بسبب عادي صغير، ولكن سرعان ما تتجمع حوله الدلائلُ والبراهين.

وعسانا نجد ما يدل على كلامنا في الحديث عن عبدالله بن هشام[1] ان النبي صلى الله عليه وسلم كان آخذاً بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحبُّ إلي من كل شيء إلا نفسي، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك.

فقال له عمر: فانه الآن والله لأنت أحبُ إلي من نفسي فقال صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر[2].

وقد علق بعض الأفاضل على هذا الحديث فقال:[3]

ليس الجديد عند عمر هو حصول تلك المحبة الراجحة منه للنبي (صلى الله عليه وسلم)، وإنما الجديد هو إدراكه لتلك المحبة والتفاته إليها.

---

(١) هو عبد الله بن هشام بن عثمان بن عمرو القرشي التميمي ولد سنة أربعة أسد الغابة ٣: ٢٧٠ - ٢٧١.

(٢) رواه البخاري.

(٣) هو شيخنا العلامة، المحقق، الشيخ محمد عبدالله دراز رحمه الله في كتابه المختار، صفحة (٤٣٨).

تقرير ذلك: انه كان في أول الأمر قد امتحن نفسه أمام حب المال والولد والزوج والعشيرة والمسكن والتجارة فوجد حبه لهذه الأشياء كلها مرجوحاً بجانب حبه لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولم يكن قد جرى بعد في خاطره حديث المقارنة بين حبه له وحبه لنفسه، فلم يجرؤ أن يحكم فيه بشيء، بل استثنى نفسه من تلك المقارنة، سكوتاً عن الحكم بما لم يختبره، لا حكماً بعدم ذلك الرجحان، فلما نبهه النبي (صلى الله عليه وسلم) فكّر وقارن وتحسس حال قلبه، فإذا هو يجد من رجحان محبته للرسول عن محبته لنفسه، ما كان غافلاً عنه، لا ما كان خلواً منه، فقوله (صلى الله عليه وسلم): (الآن يا عمر) معناه الآن أصبت في قولك، وأحسنت التعبير عما في نفسك -).

فهذا يدل على ما أسلفناه من القول، بأن الإنسان كثيراً ما يغفل عما استقر في قلبه، أو اختبأ في ثنايا عقله الباطن.

ولنضرب على ذلك مثلاً، بذلك الأب الذي غضب على ولده، وامتلأ قلبه غيظاً عليه، فإذا أخبره مخبر أن ولده مريض، أو أصابه ما يسوء، هاج قلبه، وظهر ذلك الحب العميق، والحنو الشديد الذي كان في أعماق الأعماق، والذي جعله يفتدي ولده حتى بنفسه.

ونستأنس على ذلك بحوادث كثيرة.

كيف أسلم **حمزة**[1] رضي الله تعالى عنه؟

لقد ذكر المؤرخون، أن **حمزة** كان غائباً في الصيد عندما وضع

---

(١) هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم أبو عمارة. عم الرسول ﷺ قتل يوم أحد سنة ٣هـ ودفن بالمدينة. صفوه الصفوة ١ : ١٤٤.

أبو جهل الأذى على رأس رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وهو ساجد، فبقي عليه السلام ساجداً حتى جاءت ابنته **فاطمة**[1] رضي الله عنها فرفعت عنه ذلك الأذى، فلطمها **أبو جهل**[2] على وجهها. فلما جاء حمزة، وأخبر بما حصل للرسول عليه السلام، اشتد غضبه، وذهب إلى أبي جهل، وضربه، وقال له كيف تؤذي محمداً وأنا على دينه..

كيف أسلم حمزة، وكيف عرف ربه وآمن؟..

لا شك أننا نرى أن حمزة قد اقتنع برسالة النبي صلى الله عليه وسلم قبل هذه الحادثة بأمد بعيد، وكانت لديه شتى الأدلةِ على صدق الرسول (صلى الله عليه وسلم)، لا مما رأى من معجزاته بعد النبوة، بل مما رأى في أخلاقه وسيرته مدة أربعين عاماً قبل النبوة، كل هذا قد تراكم في قلب حمزة، فجاءت هذه الحادثة فأزالت القشرة الرقيقة التي حالت دون فيضان إيمانه على لسانه، وكان هذا الغضب هو القنبلة التي فجرت هذا الإيمان.

كيف أسلم عمر؟

روى المؤرخون أنه ذهب إلى **أخته**[3] غاضباً عندما بلغه خبر

---

(١) هي بنت رسول الله الهاشمية القرشية وأمها خديجة توفيت بالمدينة سنة ١١هـ الإصابة قسم النساء ترجمة ٨٣.

(٢) هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، كان من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ وكان يقال له أبو الحكم فسماه المسلمون أبا جهل. قتل يوم بدر.

(٣) هي فاطمة بنت الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشية العدوية اخت عمر بن الخطاب وهي امرأة سعيد بن زيد بن عمر. وكانت سبب إسلام اخيها عمر.. وذكر قصة إسلامه بتمامها / أسد الغابة ٥: ٥١٩.

اسلامها، والقصة مشهورة كيف أنه ضرب أخته، وختنه، وقرأ الآية (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى...[1]) فأعلن إسلامه، كذلك نرى في هذه القصة أن إسلامه ومعرفته بالله تعالى وإيمانه به، لم يكن سببه الحقيقي هي هذه الحادثة وإنما كانت هذه الحادثة سبباً في إظهار ما كمن في قلبه، ذلك أن عمر (رضي الله عنه)، قد عرف النبي (صلى الله عليه وسلم)، عن كثب، وراقبه وعرف أخباره، فتسرب الإيمان إلى قلبه كما يتسرب الماء في أغصان الشجرة وعروقها، ولكنه لم يستطع البواح به إلى أن جاءت هذه الحادثة، فكانت القنبلة التي فجرت هذا الينبوع الضخم.

وكذلك نقول في أولئك الناس الذين دخلوا في دين الله أفواجاً.

منهم بمجرد رؤيته عليه السلام.

ومنهم لسماع آية من فمه الشريف.

ومنهم بعد أن استحلفه بالله بأن الله أرسله، ومنهم ومنهم.... الخ.

نعم كانت هذه اللقاءات العابرة، والكلمات الرقيقة، والنظرات الخاطفة، السبب المباشر الذي أظهر مكنونات قلوبهم وخفايا نفوسهم، فإنهم على مدى ثلاث وعشرين سنة من حياته (صلى الله عليه وسلم)قد امتلأت قلوبهم وآذانهم، مما تواتر عن معجزاته، وعن صفاته وأخلاقه، وعن آيات القرآن المنزّل عليه التي سارت بها الركبان، حتى عمت سائر الجزيرة كلها. هذا وذاك كلها الأدلة والبراهين التي

---

(١) سورة طه ابن ١ - ٢.

قامت لديهم، وجعلتهم أخلصَ الناس إسلاماً وأشدهم إيماناً.

أما أولئك الذين استمروا على كفرهم، وعلى عداوتهم، وبغضهم للإسلام ونبي الإسلام، فلم يكن ذلك لنقص الأدلة عندهم، أو لعدم المعرفة بالحق، ولكنه هو العناد والكبر والكفر.

ألا ترى إلى قول الله (تبارك وتعالى) في وصف اليهود الذين عرفوا محمداً صلى الله عليه وسلم، بما عندهم من المبشرات في كتبهم. فقال تعالى:

﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾[1].

وأقرأ قبل هذه الآية قوله تعالى:

﴿ولإن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية، ما تبعوا قبلتك﴾[2].

وفي هذا دلالة صريحة، على أن المعرفة قد حصلت، وانه لم ينقصهم الدليل، بل قامت على هذه المعرفة، عشرات الأدلة، ولكنه الهوى الجامح، والكبر الطافح، حالا دون ذلك.

وما ذكرناه في أهل الكتاب من اليهود.

ولكن الله ذكر قبل ذلك عن حالة المشركين في مكة، فقال تعالى: ﴿أم لم يعرفوا رسولهم، فهم له منكرون﴾[3].

---

(١) سورة البقرة، آية (١٤٦) جزء (٢).

(٢) سورة البقرة آية (١٤٥) جزء (٢).

(٣) بتصرف- من ظلال القرآن، صفحة (٣٨- ٣٩) جزء (١٨).

وقبل هذه الآية قال تعالى:

﴿قد كانت آياتي تتلى عليكم، فكنتم على أعقابكم تنكصون، مستكبرين به، ساء ما تهجرون﴾[1].

وهذا دليل واضح على أن المعرفة بأدلتها قد حصلت، ولكنه الكبر الذي منع من حصول هذا الإيمان.

إن مثل ما جاء به محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، لا يملك من يتدبره أن يظل معرضاً عنه. ففيه من الجمال، وفيه من الكمال، وفيه من التناسق وفيه من الجاذبية، وفيه من الفكر، وفيه من عظمة الاتجاهات، وفيه من قويم المناهج، وفيه من كل شيء ما يستجيش كل عناصر الفطرة، ويغذيها ويلبيها.

(والكفار يعرفون الرسول محمداً حقّ المعرفة، يعرفون شخصه، ويعرفون نسبه، ويعرفون أكثر من أي أحد صفاته، ويعرفون صدقه، وأمانته حتى لقبوه قبل الرسالة بالأمين).

(ليس هناك شبهة من الشبه، يمكن أن يستمسك بها الجاحدون لرسالة محمد عليه السلام، إنما هي كراهية أكثرهم للحقّ لأنه يسلبهم القيم الباطلة التي بها يعيشون، ويصدم أهواءهم المتأصلة التي بها يعتزون: ﴿بل جاءهم بالحق، وأكثرهم للحق كارهون﴾[2].

وقد كرر الله تعالى هذه الآية نفسها.

ففي سورة الأنعام، قال الله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب،

(١) سورة الانعام، آية (٢٠)، جزء (٧).

(٢) سورة المؤمنون آية (٧٠) جزء (٢٣)

يعرفونــه كما يعرفون أبناءهم الــذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾[1].

وآخر ما نجهر به في هذا الموضوع، أننا نخالف حجة الإسلام فيما ساقه من استحسان التقليد، وتفضيله على الاجتهاد، ونعجب كل العجب من موقفه هذا، وهو الذي اشتهر بأصالة الفكر وعمقه. ونعجب أيضاً كيف سوّى بين من بذل جهده، وأسهر ليله في سبيل الوصول إلى الله تعالى عن فكر وبرهان بمن قعد واكتفى وكان من المقلدين.

أليس هذا تفضيل الجهل على العلم...؟

والكسل على الجد؟

وأين هذا من قوله تعالى: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[2]

ونجرأ مرة أخرى، على إمامنا حجة الإسلام، ونزعم أننا لا نوافقه على اتهامه للمتكلمين، بأنهم يحصرون الإيمان على من عرف الأدلة الشرعية بأدلتهم المنطقية.

كما لا نوافقه على تهمته لكثير من الصحابة، (رضي الله عنهم)، بأنهم دخلوا الإسلام من غير أن ينقدح الدليل في أذهانهم.

وأكثر ما نخالفه فيه، ونعجب من صدوره منه قوله:

(فالإيمان المستعار من الدلائل الكلامية ضعيف جداً، مشرف

---

(١) سورة الانعام، آية (٢٠)، جزء (٧).
(٢) سورة الزمر، آية (٩)، جزء (٢٣).

على التزلزل لكل شبهة، بل الإيمان الراسخ إيمان العوام).

وعلى كل، ندعوا له ولكافة علمائنا بالغفران.

ولكل مجتهد نصيب.

وأما بعد؛ فما هو مذهبنا في هذا الموضوع:؟

إننا لم نذهب مع الغالين الذين يكفّرون من لم يكن مجتهداً بالمعنى الكامل للفظ الاجتهاد، خاصين بهذا المعنى المتبحر بالأدلة، والمتعمق بالاستدلال.

بل ذهبنا إلى أن كل مؤمن مجتهدٌ ناجٍ، لأنه على بصيرة، وأن إيمانه لا يخلو من دليل مطلقاً، مهما كان ذلك الدليل، ولو كان من قبيل؛ البعرة تدل على البعير.

المبحــث الرابــع

الإيمان بالله تعالى إيماناً صحيحاً - وانه أعظم العبادات وأشرفها -

تمهيـــد:

لقد تحدثنا فيما مضى عن المعرفة وقلنا إن المعرفة مطلقاً أمر عظيم لأن الحقائق تنكشف بها والمجهولات تظهر بسببها.

وقلنا إن المعارف أنواع شتى، ولكن أجلها وأعظمها وأخطرها وأمسها بحياة الإنسان في حاضره ومستقبله وفي دنياه وآخرتهِ هي المعرفة بالله تعالى معرفة صحيحة.

وقلنا أيضاً إنه لأجل ذلك كان العلم الحقيقي هو العلم بالله والتعرف عليه - وإنّ العلماء الحقيقيين هم الذين يعرفون الله - وكأن كل علم وكل عالم على غير هذا النهج ليس بعلم ولا عالم.

ثم تكلمنا بعد ذلك عن أول واجب للمكلف في نظر علماء الإسلام.

ثم تكلمنا بعد ذلك عن الطرق الصحيحة والأسباب الموصلة إلى هذه المعرفة الصحيحة. وبذلك نكون قد وفيّنا البحث حقه في إثبات أن أعظم العبادات وأشرفها هي معرفة الله تبارك وتعالى.

والآن ننتقل إلى موضوع آخر وهو: أن الإيمان بالله تعالى إيماناً

صحيحاً هو أعظم أنواع العبادات وأشرفها - وسنسير في هذا البحث على غرار بحثنا السابق.

فنتكلم أولاً عن معنى الإيمان ومفهومه في اللغة.

ثم نتكلم عن معنى الإيمان ومفهومه في الاصطلاح والمراد منه في نظرنا.

ثم نتكلم عن معنى الإيمان بالله وأنه أعظم الدرجات وأساس العقيدة - وأن الكفر أخطر الدرجات وأعظم الجرائم والسيئات.

ثم نتكلم عن الإيمان المعتبر والمقبول في نظر الإسلام.

هل هو إيمان المجتهد أم هو إيمان المقلد؟

وبعبارة أخرى هل ينفع التقليد في الإيمان أم لا بد أن يكون الإيمان عن اجتهاد ونظر وبحث ودليل، ثم كيف نصل إلى معرفة الله تبارك وتعالى وذلك بأمرين لا بد منهما:

(١) توفيق الله ومعونته.

(٢) كلمات الله في قرآنه وفي أكوانه.

وسيأتي كل بحث في موضوعه انشاء الله.

الإيمـان لغـة:

الإيمان لغة هو مطلق التصديق والإذعان - فكل شيء يصدق به القلب ويذعن له ويقبله يقال له في اللغة إيمان - سواء كان ذلك الشيء الذي صدقه القلب خيراً أم شراً صحيحاً أم فاسداً.

الإيمـان اصطـلاحاً:

أما الإيمان في الاصطلاح فهو عين المعنى اللغوي ولكن بعد أن

يقيد بقيد خاص- يخص أهل الاصطلاح- فهو تصديق القلب وإذعانه وقبوله لكل ما جاء به الإسلام وثبت بالضرورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فأنت ترى أن الإيمان الذي هوالتصديق، بما ذكر، محله القلب.

فهو حركة القلب وفعله وقصده وتوجهه-

وكما أن للجوارح حركة وفعلاً كاليد والرجل والعين والأذن، وأن لهذه الحركة أثراً وعليه يترتب الثواب والعقاب كذلك فإن للقلب فعلاً وحركة وعليها يترتب الثواب والعقاب.

الجوارح لها حركات تارة نحو الخير وتارة نحو الشر.

ولكل من الخير والشر درجات وعلى كل واحد منها يترتب الثواب والعقاب.

وحركات القلب كذلك تارة نحو الخير وتارة نحو الشر ولكلٍ درجاتٌ وعلى كل يترتب الثواب والعقاب.

فأعلى أنواعِ الخير وأعظمها جلالة ومكانة بالنسبة إلى أعمال القلب الإيمان بالله تعالى ودون هذا النوع درجات كثيرة أشار إليها النبي (صلى الله عليه وسلم) فيما رواه **أبو هريرة**[1] (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«الإيمان بضع وستون شعبة أو بضع وسبعون شعبة فأفضلهاقول؛

---

(١) هو عبد الرحمن بن صخر الدوس الملقب بأبي هريرة. صحابي وكان أكثر الصحابة حفظاً للحديث الشريف ورواية له أسلم في السنة السابعة للهجرة وتوفي بالمدينة عام ٥٩هـ. الإصابة- الكنى ترجمة ١١٧٩.

لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق »[1].

والمراد بهذا العدد التكثير لا التحديد،

والمراد بالقول هنا قول القلب لا قول اللسان.

ولا شك أن أعظم شعب الإيمان اعتقاد ما اشتملت عليه كلمة لا إله إلا الله لأنه أصل الايمان المتعين الذي لا يصح عند الله شيء من الشعب إلا به..

وفيما بين أعلى الشعب وأدناها مراتب كثيرة من معاملة الحق، ومعاملة الخلق بين واجب ومندوب[2].

كذلك تصديق القلب بالشر له درجاتٌ كثيرة- فيترتب عليها آثام صغيرة أو كبيرة وعقاب قليل أو كثير.

خطـر الشـرك:

فأخطرها على الإطلاق تصديق القلب وجزمه على عقيدة فاسدة- كالإشراك بالله أو بالتكذيب بما ثبت وروده بالضرورة في دين الإسلام- ودون ذلك مراتب: من ترك الفروض أو ترك الواجبات وترك السنن والنوافل- أو فعل الكبائر- أو فعل الصغائر- وكل ذلك درجات أو دركات- فيتحصل معنا أن أعلى ما اشتمل عليه القلب الإيمان بالله- وهو أعظم العبادات.

وإن أخطر ما اشتمل عليه القلب الإشراك بالله وهو أخطر

---

(١) أخرجه الخمسة وهذا لفظ مسلم- أنظر شرحه في المختار ص (٤٢٩). البخاري كتاب الايمان ١:٤٨، ٤٩/مسلم: كتاب الايمان ١:٦٣ أبو داود ٢:٥٢٢، الترمذي ٧:٢٧٨.

(٢) المختار ص (٤٣١).

الموبقات وأكبر الكبائر وأعظم المعاصي

فالإيمان أعظم شيء وثوابه أعظم شيء.

والكفر أخطر شيء، وعقابه أسوأ شيء.

أما لماذا جعلنا الإيمان أعظم شيء.

فهذا أمر بديهي لأن الإيمان يبنى عليه كل طاعة.

وكذلك جعلنا الكفر أخطرَ شيء لأنه لا يقبل معه طاعة ولا يصح مع الإشراك عمل.

قال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر إن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾[2].

لقد وصف الله تعالى المشرك بأنه قد ضل ضلالاً بعيداً وبأنه افترى إثماً عظيماً.

أما ضلاله البعيد فإنه قد أتى من المعاصي أكبرها وأشدها، وليس بعد الكفر ذنب، فهو أبعد الآثام لذلك كان ذنبه أبعد الذنوب.

أما كونه افترى إثماً عظيماً فالافتراء هو الكذب ودعوى غير الواقع فلها درجات متعددة ومراتب كثيرة- وأشدها على الاطلاق الافتراء على الله وأن تنسب إليه ما لا حقيقة له وأن تدعوه بما لا يليق-

---

(١) النساء آية (٤٧) جزء (٥).

(٢) النساء آية (١١٥) جزء (٥).

(إن الشرك انقطاع بين الله والعباد فلا يبقى لهم معه أمل في مغفرة إذا خرجوا من هذه الدنيا وهم مشركون، مقطوعي الصلة بالله رب العالمين، وما تشرك النفس بالله وتبقى على هذا الشرك حتى تخرج من الدنيا.

(وأمامها دلائل التوحيد في صفحة الكون وفي هداية الرسل) ما تفعل النفس هذا وفيها عنصر من عناصر الخير والصلاحية، إنما تفعله وقد فسدت فساداً لا رجعة فيه، وتلفت فطرتها التي برأها الله عليها وارتدت أسفل سافلين وتهيأت بذاتها لحياة الجحيم.

أما ما وراء هذا الإثم المبين الواضح الظاهر، والظلم العظيم الوقح الجائر: أما ما وراء ذلك من الذنوب والكبائر فإن الله يغفره لمن يشاء إما بتوبة أو بغير توبة مادام العبد يشعر بالله ويرجو مغفرته ويستيقن أنه قادر على أن يغفر له)[1].

وقال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[2].

فلا يقبل الله من مشرك عملاً طيباً فعله في هذه الدنيا ولا يثيبه عليه في الآخرة لذلك كان من الخاسرين وقد أتى التصريح بذلك في مكان آخر.

﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءاً منثورا﴾[3].

(كل ما يفعله الكفار من عمل صالح هباء. ذلك انه لم يقم على

---

(١) ظلال القرآن صفحة (١٠١- ١٠٢) جزء ٥.
(٢) آل عمران آية ٨٥.
(٣) الفرقان آية ٢٣) جزء (١٨).

الإيمان الذي يصل القلب بالله والذي يجعل العمل الصالح منهجاً مرسوماً وأصلاً قاصداً لا خبط عشواء ولا نزوة طارئة ولا حركة مبتورة لا قصد لها ولا غاية، فلا قيمة لعمل مفرد لا يتصل بمنهج، ولا فائدة لحركة مفردة ليست حلقة من سلسلة ذات هدف معلوم-

إن وجود الإنسان وحياته وعمله في نظر الإسلام موصولة كلها بأصل هذا الكون وبالناموس الذي يحكمه والذي يصله كله بالله- بما فيه الإنسان وما يصدر عنه من نشاط فإذا انفصل الإنسان بحياته عن المحور الرئيسي الذي يربطه ويربط الكون فانه يصبح لقىً ضائعاً لا وزن له ولا قيمة ولا تقدير لعمله ولا حساب.

بل لا وجود لهذا العمل ولا بقاء.

والإيمان هو الذي يصل الإنسان بربه فيجعل لعمله قيمة ووزناً ويجعل له مكانة في حساب هذا الكون وبنائه.

وهكذا تعدم أعمال أولئك المشركين، تعدم إعداماً بصورة التعبير القرآني تلك الصورة الحسية المتخيلة:

﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءاً منثوراً﴾(١)

أقول: وقد استعصى فهم هذا على بعض الناس وقالوا كيف يكون حال كافر أفاد الانسانية بالأعمال الصالحة والمخترعات المفيدة، فهل يكون هذا مخلداً بالنار ألا تشفع حسناته هذه له؟

وهنا يحلو لنا أن ننقل الإجابة عن هذا السؤال أو عن هذه الشبهة عن كتابنا (نور الإسلام).

---

(١) ظلال القرآن ص (٢٧، ٢٨) جزء (١٩).

(الشرك بالله أعظم المعاصي على الإطلاق، والتخلص منه هو أول درجات المتقين، وبعبارة أخرى هو الخطوة الأولى للصعود إلى منازل المتقين ومدارج الصالحين ومسالك السائرين.

وفي القرآن الكريم فيض من الآيات جاءت تبياناً لخطورة الشرك وعظيم آثامه، ووخامة عواقبه.

وكانت أولى نصائحِ لقمان لإبنه وهو يعظه﴿يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾[1] وقال المسيح عليه السلام: ﴿يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار، وما للظالمين من أنصار﴾[2].

ويصور القرآن جناية المشرك وخسارته لنفسه، تصويراً بليغاً غاية في التحليق ونهاية في الجمال فيقول ﴿من يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾[3] لماذا كل هذه التعابير وتعداد هذه التصاوير، ولمَ يقول القرآن في أمر الشرك كلَ هذه الأقاويل؟ ولمَ يهول التنزيل في أمر الإشراك كل هذه التهاويل.؟

ثم لمَ بدأ الأنبياء والرسل والدعاة دعواتهم ورسالاتهم في النهي عن الإشراك ومقاومة المشركين؟

الحق أنه أمر يُلفت النظر، ويدعو للتأمل وإلى المزيد من البحث والدرس.

---

(١) لقمان آية ١٣.
(٢) المائدة آية ٧٢.
(٣) الحج آية ٣١.

وللإجابة عن هذه النقطة الهامة نود أن نقَّرب الموضوع بضرب من المثال:

إن الدولة ذات السلطان قد تتغاضى عن كثير من أفراد رعيتها إذا حادوا شيئاً ما عن جادة الصلاح، أو التوت بهم السبل وأخذوا نصيباً من المخالفات، وربما نظرت إليهم نظرة الوالد المشفق.

أو نظرة الطبيب إلى مرضاه، فأخذه بالحسنى، ودعاه بالرفق، وأنار له طريق العودة والتوبة وأخذ بيده نحو الشاطىء الأمين-

ولكن هذه الدولة صاحبة السلطان يتغير موقفها حالاً لو شذت جماعة من الأمة، فقالوا بعدم الاعتراف بها والخروج عن حكمها ونكران سلطانها حينئذ تقوم قيامة الدولة، وتجرد عليهم الجيوش ولا تزال بهؤلاء النفر حتى تستأصل شأفتهم وتأتي على آخرهم-

عملت الدولة ذلك وقست هذه القسوة لأنها اعتبرت الخروج عليها وانكار سلطانها وعدم الاعتراف بها أساس الجرائم جميعاً وأم المخالفات جميعها وأصل الفوضى، ونهاية العصيان وتهديماً للدولة من أسها وأساسها وتقويضاً لأركانها وقواعدها.

كذلك الإشراك بالله تعالى وإنكاره والإلحاد به هو ثورة على المبدأ الأول، وعدم اعتراف بموجد هذا الكون، ودعوة صريحة للخروج عن نظامه وتهديم قوانينه، والمجاهرة بحربه، والتظاهر بمخالفته، وعدم الاعتراف به أصلاً ومبدأ.

هذا هو معنى الإشراك بالله، وهذا هو معنى الإلحاد به تبارك وتعالى).

ولهذا أعلنها القرآن ثورة على هؤلاء الطغاة البغاة الخارجين على

النظام الإلّهي العاملين على تقويض شرائعه ونواميسه فقال:

﴿ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[1]

أظن أننا بهذا التقريب وبهذا المثال استطعنا إظهار الفرق بين جريمة الإشراك وبين بقية المعاصي والذنوب.

ولهذا كانت أولى الدرجات أن يقي الإنسان نفسه من هذه الزلة الكبرى من زلة الإشراك بالله رب العالمين)[2].

معصية المؤمن ومعصية الكافر:

وعلى هذا الأساس الذي رأيناه وفرغنا من تحقيقه وتقريبه نتساءل: **هل تستوي معصية المؤمن ومعصية الكافر؟**

وبعبارة أخرى إذا اشترك مؤمن وكافر بمعصية واحدة، أو تشابها في معصية واحدة فهل يكون جزاؤها سواء؟

لا شك أن الإجابة تكون بالنفي،

صحيح أن الذنب واحد والمعصية واحدة ولكنهما اختلفا في المنشأ واختلفا في المبدأ.

فالمؤمن وانه إن عمل المعصية أو اقترف الذنب فإنه مع ذلك مسلم وبأنه قد عصى، ومعترف بأنه قد خالف إلٰهه، وحاد عن طريق مولاه.

أما الكافر أو المشرك، فإنه ليس كذلك فإنه عندما اقترف

---

(١) النساء آية ٤٧.

(٢) من كتابنا من نور الإسلام ص (١٤٠، ١٤١) منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت.

المعصية أو قارف الذنب لم يكن مقراً بأنه قد خالف ولم يكن معترفاً بصاحب هذا النظام.

لذلك تباينت رتبتها لاختلاف المنشأ والمصدر.

وإذا كانت النصوص السابقة تؤيد هذه النظرية فإن مقتضى العقل يؤيد ذلك أيضاً.

قال بعض الأفاضل:

(والنظر العقلي يقتضي ذلك فإن العارف بطبائع النفوس البشرية يفرق بين جريمة المعصية من المؤمن، وجريمة المعصية من الكافر... فمعصية الكافر محاربة واستكبار، لا يبقى معها في القلب مثقال ذرة من خير، ومعصية المؤمن لا يزال معها في القلب نواة من خير وبصيص من النور، لذلك يشعر (مع مطاوعته لهواه) واندفاعه في تيار الشهوة أو الغضب)، وخز الضمير والاعتراف بينه وبين نفسه بأنه ترك ما ينبغي وفعل ما لا ينبغي.

ومن هنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرجل الذي كان يدمن الشراب على عهده وكان يجلده كثيراً: (لا تلعنوه فوالله انه يحب الله ورسوله) أو كما قال[1]

واضرب لكم مثلاً لمعصية المؤمن والكافر-

فمثل المؤمن حين يعصي كمثل رجل نهاه الطبيب عن طعام أو شراب خاص وهو يعلم صحة رأي الطبيب ويثق بنصحه له، وقد يعرف بالتجربة في نفسه وخامة عاقبة التسرع بتناول الطعام الذي

---

(١) البخاري في كتاب الحدود.

نهاه عنه ولكنه لا يجد صبراً على ذلك فتضعف إرادته عن مقاومة هواه.

ومثل الكافر حين يعصي كمثل ذلك الذي يعصي الطبيب مستجهلاً له مستهزءاً برأيه.

أترى أن الطبيب يعامل المريضين بنوع واحد من القسوة وينزلهما عنده في منزلة واحدة من البغض والمقت؟؟.

أم هو يرثي لأحدهما ما لا يرثي للآخر؟

وإذا لم تكن الجريمتان سواء فكيف يجعله القاضي العادل بحكم العقوبة سواء والله يقضي بالحق ويقول:

﴿ونضع الموازين بالقسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾[1].

والحق أن هناك فرقاً كبيراً بين المؤمن والكافر.

فالمؤمن ولو كان عاصياً فانه لا يخلو عن مراقبة لله تبارك وتعالى ولا يخلو عن ندامة ولا يخلو عن وخز الضمير.

وأما الكافر فلا يرهب إلا القانون وربما احتال عليه، ولا يرهب إلا الناس وسرعان ما يستطيع أن يختفي عنهم ويبتعد عن أنظارهم إذا أراد المعصية.

والكافر بعد معصيته لا يجد حاجة إلى الندم ولا يشعر بشيء من الألم بل يتمتع بأحلى الذكريات وأشدها عصياناً للرب.

ألا ترى هذا المعنى الذي أشرنا إليه واضحاً في قوله تعالى:

---

(١) الأنبياء آية (٤٧) جزء (١٧).

﴿ واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم، ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾[1].

والظاهر من معنى الآية أن المؤمن إن خطرت على قلبه معصية أو صور له الشيطان امراً أو حسّن له فاحشة فانه يدفع وسوسة الشيطان وما سولته له نفسه بأحد أمرين.

فإن كان قوي الإيمان فيكفيه لدفع كيد الشيطان ووسوسته للنفس أن يلجأ إلى الله وأن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

الثاني: أن يتذكر عاقبة هذه المعصية ومآل هذه الفاحشة وما أعد الله له من عذاب إذا فعلها وما أكرمه الله تعالى به إذا نهى النفس عن الهوى وتذكر قوله تعالى:

﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾[2]

وقال تعالى:

﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾[3].

وما أحسن ما قاله بعضهم:

(فمثل المؤمن المتقي في عدم تمكن الشيطان من اغوائه وان تمكن من مسه كمثل المرء الصحيح المزاج القوي الجسم لا تجد الأمراض

---

(١) الأعراف آية (٢٠٠) جزء (٩).
(٢) النازعات آية (٤٠).
(٣) الرحمن آية (٤٦).

المفسدة للصحة استعداداً لإفساد مزاجه وإصابته بالأمراض فهي تظل بعيدة عنه، فإن مسه شيء منها بدخوله في معدته أو دمه فتكت بها مناعة الصحة والعافية فحالت دون فتكها به)[1]

---

(١) انظر تفسير المنار ص (٥٤٣، ٥٤٩) جزء (٩) فإن فيه كلاماً نفيساً جداً، بتصرف- وانظر كذلك تفسير ظلال القرآن ص (١٤٧) جزء (٩).

المبحـــث الخامــس

الإســـــلام

لقد تكلمنا فيما مضى عن الإيمان لغة واصطلاحاً، وعن مكانة الإيمان بالله تعالى وانه أساس العقيدة، وعن الإيمان المعتبر والمقبول في نظر الإسلام.

وان البحث يجرنا أيضاً أن نبحث كذلك عن معنى الإسلام لغة واصطلاحاً وعن بيان الفرق بين الإسلام والإيمان، كما نريد أن نبين ما هي العقيدة الإسلامية التي زعمنا أنها هي العقيدة الحقة ولماذا كانت كذلك.

ولماذا نكفر كل من حاد عن هذه العقيدة أو خرج عنها أو اعتقد خلافها، ثم نبين بعد ذلك أثر هذه العقيدة في النفوس والسلوك.

وأثر غيرها من العقائد الفاسدة في النفوس والسلوك.

كل ذلك بإيجاز واختصار

الإسلام[١] **لغة** معناه الإستسلام والانقياد والطاعة، مطلقاً والإسلام[٢] في اصطلاحنا هو الطاعة والإنقياد والإستسلام لله رب

---

(١) مختار الصحاح ص (١١٣) دار الكتاب العربي بيروت.

(٢) انظر كذلك مفردات الراغب ص (٢٣٩)، ص (٢٤١).

العالمين وفقاً لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى والذي تضمنه جملة وتفصيلا الدين الإسلامي الذي جعله الله تعالى خاتمة الشرائع فلا شريعة بعده.

وجعل نبيه محمداً ﷺ - خاتم الأنبياء فلا نبي بعده.

وجعل الكتاب الذي احتوى على هذا الدين وهو القرآن الكريم خاتم الكتب فلا كتاب بعده.

وآخر الوحي فلا وحي بعده.

مشتملات الدين الإسلامي:

لما كان هذا الدين خاتم الأديان وجب أن يشتمل على كل ما يلزم لهذا النوع الإنساني وعلى كل ما ينفعه ويسعده وعلى كل ما يصلح شؤونه المادية والروحية والحسية والمعنوية وما يحقق له الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة.

كما يجب أن يكون هذا الدين واضح الآيات ظاهر الدلالات مبيناً لكافة ما لهذا الإنسان من حقوق وواجبات وموضحاً جميع الصلات والعلائق التي تربطه أو تتصل به، وهذا يشتمل الأمور الآتية:

١ - صلة الإنسان بنفسه.
٢ - صلة الإنسان بخالقه.
٣ - صلة الإنسان بأسرته.
٤ - صلة الإنسان بالمجتمع.
٥ - صلة الإنسان بوطنه وأرضه وغير ذلك.

وبالجملة فإن هذا الدين الكريم لم يترك شاردة ولا واردة ولا صغيرة ولا كبيرة إلا آتى عليها وأظهرها أتم إظهار وأبانها أي إبانة.

كما انه شرح كل ما يتعلق بهذا الإنسان قبل أن يخلق وعندما يصير جنيناً في بطن أمه، وعندما يحبو على ظهر هذه الأرض وعندما يصير مكلفاً بالأوامر والنواهي وعندما يحتويه القبر ويعود إلى عالم الفناء، وعندما يبعث حياً.

فيسأل عما قدم وأخر ثم يثاب أو يعاقب ثم يخلد في إحدى الدارين إما إلى الجنة أبدا وإما إلى النار أبدا.

والذي يقرأ كتاب الله تعالى وأقوال نبي الهدى صلى الله عليه وسلم يجد ما قلناه مفصّلاً أيما تفصيل، ويجد كذلك أضعاف أضعافه مما انفرد به هذا الدين الإسلامي العظيم ببيانه عن سائر الديانات، وكتابه عن سائر الكتب.

قال تعالى:

﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾[1].

مجمل الدين:

ومجمل الدين يعود إلى أمرين:

١ - عقيدة

٢ - شريعة.

أما العقيدة فهي التي أمر الإسلام باعتقادها وجزم القلب بها جزماً كاملاً وتصديقها والإذعان بها، بعد معرفتها معرفة صحيحة يقينيّة غير قابلة للشك والتردد.

وتشتمل فيما تشتمل على الأمور الآتية:

---

(١) الأنعام آية (٣٨) جزء (٧).

١ - الالهيات: وهي معرفة ما يجب لله من وجود ووحدانية وعلم وقدرة وإرادة.. الخ. وما يستحيل عليه من تعدد وإشراك ونقص.. الخ. وما يجوز له من فعل وترك.

وبالجملة فاللأهيات هي معرفة ما يجب لله من كمال، وتقديسه وتنزيهه عن كل نقصان وانه ليس كمثله شيء.

٢ - النبوات وهي معرفة ما يتعلق بالأنبياء عليهم السلام الذين أرسلهم الله لهداية العالم وإرشاد البشرية مما يجب لهم من صفات كاملة، وما يستحيل عليهم من صفات النقص، وما يجوز لهم من صفات وأفعال بشرية.

٣ - السمعيات: وهي الأمور المغيبة التي أمرنا الإسلام باعتقادها، كالإعتقاد بعالم الآخرة وما حوته الجنة والنار... الخ.

وهذه الأقسام الثلاثة وما تتوقف عليه وما ينبني عليها من وسائل أو علوم هي التي يطلق عليها العقيدة، والباحث عنها يقال له علم التوحيد كما أسلفنا.

وهذه العقيدة، محلها القلب وهي التي تختص باسم الإيمان.

الشريعـــة:

وهي القسم الثاني من أقسام الدين الإسلامي وتشتمل على:

١ - العبادات.
٢ - المعاملات.
٣ - الآداب والأخلاق.

وكما أن العقيدة كان محلها القلب واختصت باسم الإيمان.

فإن الشريعة محلها الجوارح واختصت باسم الإسلام.

فأنت ترى أن كلمة الإسلام تخص الأعمال الظاهرة.

وأن كلمة الإيمان تخص الأعمال الباطنة.

وليس من مقصودنا بحث الأمور المتعلقة بأعمال الجوارح وقد فصلته الشريعة كل تفصيل. ومحل بحثها علوم الفقه والأخلاق والتصوف، وإنما مرادنا فقط أن نبحث عن العقيدة أو عن قسم منها وهو بحث الآلهيات او فكرة الألوهية في الإسلام ومقارنتها بالأديان الأخرى، لا سيما اليهودية والنصرانية منها[١].

غير انه يجب قبل ذلك أن نبين مفهوم حقيقة الدين:

حقيقـة الديـن:

١ - وهل هو قول فقط كما قال بذلك بعض الكرامية[٢] وبعض المرجئة[٣] قالوا يطلب من المكلف الاعتراف بلسانه ان الإسلام حق ولا يطلب منه لا عمل ولا اعتقاد.

٢ - وقال جمهور المرجئة: المطلوب قول واعتقاد فقط، ولا يسأل بعد ذلك عن عمل.

وقال سائر الأمة المطلوب أمـور ثلاثة:

(١) القول (٢) والعمل (٣) والاعتقاد. وجماع ذلك هو الدين ثم

---

(١) وهذا البحث سيتكفل به كتاب مستقل باسم فكرة الألوهية وهو بحث مقارن كما أسلفنا ذلك سابقاً.

(٢) طائفة من الخوارج منسوبة إلى محمد بن كَرّام أو مُكَرّم

(٣) فرقة إسلامية لا يحكمون على أحد من المسلمين بشيء بل يرجئون الحكم إلى يوم القيامة.

اختلفوا في تقدير قيمة العمل.

٣ - فقالت الخوارج[1] من أخل بالعمل فترك فريضة أو ارتكب كبيرة ولم يتب منها فقد خرج من الإيمان ودخل في الكفر. واستحق الخلود في النار أبد الآبدين.

٤ - وقالت المعتزلة: من أخل بالعمل هكذا فقد خرج من الايمان ووجب تخليده في النار كالكفار لكنه لا يسمى كافراً فهو في منزلة بين الايمان والكفر اسما، وان كان كالكافرين في تأبيد العذاب.

ولا نريد أن ندخل في نقاش مع هذه الفرق لأننا نرى أن أقوالها مصادمة لنصوص الشريعة ولروح الإسلام، وفي بعضها تعطيل لأحكامه وافساد للوعد والوعيد والثواب والعقاب والجنة والنار، وسنتكلم فقط على المذهب الذي نختاره وهو ما ذهب إليه جمهور أهل السنة والجماعة، والذين أحكموا النصوص واتبعوا ما كان عليه جميع الصحابة وكافة الأمة.

مذهب أهل السنة والجماعة

قالوا المطلوب من المكلف أمر مركب من قول، واعتقاد، وعمل، لكن أجزاء هذا المركب ليست داخلة بنسبة متساوية في تركيبه.

فكما أن الإنسان مركب من جنس حيواني مادي، وروح ناطق

---

(١) فرقة من الفرق الإسلامية خرجوا على علي بن أبي طالب وخالفوا رأيه. والخوارج يرون أن لفظ الخوارج من الخروج في سبيل الله ولها أسماء وألقاب، ويربط المؤرخون أصل الخوارج بحادثة التحكيم في حرب صفين. وخروجهم على علي في موقعة صفين. دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية/ عرفان عبد الحميد ص ٨٤ - ٨٥.

مفكر، والجسم مركب من أجهزة وأعضاء تتفاوت حاجة المجموع إليها فمنها ما هو عضو رئيسي تنحل البنية وتذهب الحياة بفقده كالقلب والرأس، ومنها ما هو عضو نافع تنقص المرافق بنقصه كاليد والرجل، ومنها ما هو زينة مكمل للجمال والتناسق كالشعر والظفر، كذلك أجزاء الإيمان.

فأما (الجزء الأول) وهو الجزء الذي لا غنى عنه بحال وإذا عدم عدمت حقيقة الإيمان وحقت على فاقده كلمة الهوان والخلود المؤبد في النيران فهو الاعتقاد وأعني به العلم الجازم بكل ما ثبت بالضرورة انه جاء من عند الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

وليس ذلك فقط بل لا بد مع اليقين الجازم الذي هو حكم عقلي من أمر آخر قلبي وهو الرضى والارتياح النفساني لهذه العقيدة بحيث تكون طبق هواه وميله وعاطفته، فلا يفيض بها حقداً وحسداً ولا يتسخطها كبرا، وانفة كقوم فرعون جاءتهم آيات الله مبصرة فجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا.

أو كعلماء اليهود كانوا يعرفون الرسول عليه السلام كما يعرفون ابناءهم ولكن شقت عليهم زعامته واستتباعه إياهم، وقد كانوا متبوعين لا تابعين، فودوا ان لم يكن، فكرهوا نعمة الله عليه وظنوا أنهم أولى منه بهذا المنصب كما صنع رئيسهم إبليس في شأن أبيهم آدم ومن هنا كانوا كفاراً مع اعتقادهم ويقينهم بأمره، لأنهم أضاعوا شطر هذا الركن الاعتقادي وهو الرضى والتسليم.

﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا

في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما﴾[1]

فإذا تحقق هذا الجزء الأول فقد وجد أساس الإيمان وكتب لصاحبه عند الله صك النجاة من الخلود المؤبد في النار، إذا مات على ذلك ولو لم يتحقق معه سائر الأجزاء)[2].

الجزء الثاني: إعلان هذه العقيدة بالقول أو غيره من الدوال الظاهرة كالصلاة ونحوها، مما يؤدي معنى الاعتراف بالدين الصحيح.

وهذا الجزء لا يدخل عند الله في حساب أصل الإيمان، لأن الله تعالى يتولى السرائر وإنما هو (أي إعلان هذه العقيدة بالقول أو غيره) فريضة عملية كسائر الفرائض الفرعية الداخلة في الجزء الثالث، شرعه الله ليكون وسيلة لحفظ النظام الدنيوي، فيه يتعارف المؤمنون ويتناصرون ويتصاهرون ويتبادلون التكريم في الحياة والمات وليكون حماية لصاحبه وعصمة لدمه ولماله، فتارك هذا الجزء هو عند الله كتارك كل فرض من فروض الدين، اعني انه آثم إن تركه مستطيعاً بلا عذر وإلا فلا.

نعم هذا الجزء يعد عندنا من أصل الدين لأننا لا نحكم إلا بالظاهر، ولا اطلاع لنا عما في قلوب الناس إلا عن طريق هذا الاعتراف الظاهر الذي يعد ترجمة عن العقيدة يدل دلالة ظنية على حصولها.

---

(١) النساء آية (٦٤) جزء (٤).

(٢) انظر كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر المكي، طبع بمطبعة دار الكتاب العربي ص (٢٦) ج ١ وهو بحث نفيس كما تكلم بعده عن المكفرات، فارجع إليه.

الجزء الثالث: العمل بكل ما أمر الله به من فريضة ونافلة، والانتهاء عما نهى عنه من حرام وشبهة، صغيرة وكبيرة في سره وعلانيته بقلبه وجارحته.

وهذا الجزء تتفاوت مراتبه تفاوتاً كبيراً.

١ - فمن وفّاه بجملته واتقى الله حق تقاته، بقدر الطاقة البشرية كان من السابقين المقربين.

٢ - ومن أدى الفرائض واجتنب الكبائر ولكنه قارف شيئاً من الصغائر أو قصر في النوافل، كفّر الله عنه ما ألم به من سيئة وأدخله الجنة على قدر درجته في العمل بغير سابقة عذاب.

٣ - ومن ترك فريضة أو فعل كبيرة وتدارك أمره بالتوبة قبل أن يحضره الموت كان حقاً على الله أن يتوب عليه ويدخله الجنة بغير عذاب.

٤ - ومن أصر على ما فعل حتى مات على ذلك، فأمره إلى الله فان شاء عفا عنه بفضله، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه، ثم أخرجه إلى الجنة ولو بعد حين.

حقيقـــة العقيـــدة:

وخلاصة القول: ان الحق في ماهية الدين وحقيقته انها مؤلفة من ثلاثة عناصر: اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان.

وقد تقدم معنا أن هذه العناصر ليست سواء في الميزان، بل منها أصل وفرع، وان الأصل أصلان.

أصل في الواقع وهو الأول (اعتقاد بالجنان).

وأصل في الظاهر وهو الثاني (قول باللسان).

وان الفرع هو العنصر الثالث وهو (العمل) سواء أكان من أعمال الجوارح أم من أعمال القلوب (ما عدا الاعتقاد وعبارته) وقد عرفنا الحكم الدنيوي والأخروي لكل واحد من هذه العناصر فعلاً وتركاً)[1]

الإســلام - الإيمــان

متى يجتمعان في معنى واحد؟ ومتى يفترق كل منهما في معنى آخر؟

تقدم معنا أن كلمة الإيمان التي معناها في اللغة التصديق مطلقاً والتي معناها في اصطلاحنا تصديق القلب وإذعانه بأمر مخصوص وهو كل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمور الاعتقادية الذي ثبت عنه بالضرورة، وقلنا ان هذا التصديق محله القلب ويختص باسم العقيدة.

فهل تبقى كلمة الإيمان خاصة بهذا النوع، أم أنها تستعمل استعمالاً آخر بحيث تشمل أصول الدين وفروعه؟

وأسلفنا أيضاً أن كلمة إسلام معناها الإستسلام والانقياد مطلقاً وفي اصطلاحنا استسلام وانقياد مخصوص وهوانقياد الجوارح واستسلامها لكل ما أمر ونهى عنه الإسلام كما ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقلنا إن هذا الاستسلام والانقياد خاص بأعمال الجوارح والأعمال الظاهرة.

(١) انظر هذا البحث في المختار من ص (٧٤) إلى ص (٩٠). وانظر كذلك شرح العقائد النسفية، وسائر كتب العقائد في شرح حقيقة العقيدة.

فهل تبقى كلمة إسلام خاصة بهذا الأمر الظاهر؟ أم تستعمل استعمالاً أعم من ذلك بأن تشمل أصول الدين وفروعه؟

الجواب على ذلك أننا لو تتبعنا استعمالات هاتين الكلمتين في القرآن الكريم وفي الأحاديث الشريفة لوجدنا أن الأمر غير مطرد.

فتارة تكون كلمة (إيمان) خاصة بتصديق القلب واعتقاده، وتارة تستعمل حتى تشمل الدين كله بجملته أصوله وفروعه.

وكذلك كلمة (إسلام).

فتارة تستعمل ويراد منها الانقياد الظاهري وأعمال الجوارح، وتارة تستعمل بأعم من ذلك حتى تشمل الدين كله أصوله وفروعه.

ولنضرب على ذلك الأمثلة:

قال تعالى: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾[١].

فالمراد بالإيمان ها هنا الإيمان بالمعنى الخاص وهو الأمر القلبي الباطني.

أما قوله تعالى: ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً﴾[٢]

فالمراد بقوله مؤمناً الإيمان الجامع للباطن والظاهر، فكان المراد من الإيمان هنا الدين بجملته.

وقال تعالى: ﴿قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾[٣]

فالمراد من الإسلام ها هنا الإسلام الظاهري فقط.

---

(١) غافر آية (٤٠/٢٨/ك).

(٢) السجدة (٣٢/١٨/م).

(٣) سورة الحجرات (٤٩/١٤/م).

أما قوله: ﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾[٢]

وقوله تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا﴾[٣]

فيراد من (كلمة الإسلام) مجموع الأمرين معاً.

ولنضرب الأمثلة بالأحاديث أيضاً.

قوله صلى الله عليه وسلم: (بني الإسلام على خمسة)[٤].

فالمراد بكلمة إسلام أعمال الجوارح وهي الشهادتان والصلاة.. الخ.

أما قوله عليه السلام (المسلم من سلم الناس من لسانه ويده)[٥]. فالمراد بالإسلام هنا الدين بجملته.

وقوله عليه السلام: (الإيمان أن تؤمن بالله تعالى وملائكته ورسله)[٦] المراد بالإيمان هنا إذعان القلب وهو الأمر الباطن.

أما قوله عليه السلام: (المؤمن من أمن الناس بوائقه)[٧]. فالمراد بالإيمان الدين بجملته اصوله وفروعه.

والمتتبع لهذه الاستعمالات سواء كانت على لسان القرآن أو على

---

(١) سورة البقرة (٢/١٣٧/م).

(٢) سورة آل عمران (٣/١٩/م).

(٣) سورة آل عمران (٣/١٨٥/م).

(٤) صحيح البخاري- كتاب الإيمان.

(٥) البخاري باب الإيمان/ وصحيح مسلم باب الإيمان.

(٦) البخاري- إيمان/مسلم- إيمان

(٧) وفي رواية البخاري لا يؤمن الذي لا يأمن الناس بوائقه.

لسان الرسول عليه السلام: يستخلص قاعدة استقرائية وهي:

(إذا اجتمعت لفظة الإيمان والإسلام في عبارة واحدة فكل واحدة من الكلمتين تأخذ معناها الخاص بها.

وإذا انفردت كلمة إيمان وحدها في جملة فإن المراد منها ما يشتمل الدين بأصوله وفروعه.

وكذلك إذا انفردت كلمة إسلام في جملة فإن المراد منها ما يشمل الدين بجملته أصولاً وفروعا.

وهذا معنى ما قاله بعض الفضلاء: (إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا).

ضـرورة الإيمـان والإسـلام معاً:

(إن كلاً من الإيمان والإسلام مطلوب وقد جعلها الشارع قواماً لحقيقة واحدة هي الدين، وناط باجتماعهما مصالح في العاجل وربط بهما أجزية موعودة في الآجل، بحيث لا يكفي أحد الأمرين وحده في تحقيق تلك المصالح العاجلة، ولا في استحقاق تلك الأجزية الآجلة على وجه خالص.

لأن الظاهر بدون الباطن كتمثال لا روح فيه يحركه، والباطن بدون الظاهر كمريض مقعد تعطلت حركته لعارض فكلاهما قاصر عن تحصيل المصلحة المطلوبة وان تفاوت المدى.

ثم ان الظاهر وحده البتة غير مقبول، والباطن وحده غير مضمون القبول، بل هو مظنة العطب، هيهات أن يصل بصحابه إلى بر السلامة، قبل أن يوقعه في أتون الغضب.

وإذا ثبت أن كلاً منهما وحده قاصر عن تحصيل المصالح العاجلة وعن استحقاق النعيم الخالص في الاجلة ثبت أن كلاً منهما متمم لصاحبه كشرط في استحقاق الثناء الجميل)[1].

وعلى هذا فإذا مدح المسلم أريد به المسلم المؤمن أي الذي يكون عنوانه الظاهري ترجماناً صادقاً لما في نفسه.

وإذا مدح المؤمن أريد به المؤمن المسلم أي الذي أخذت حقيقة الإيمان عنده مظاهرها وثمراتها العملية)[2].

قلت: وهذا من بدائع اللغة العربية

فإن كثيراً من الكلمات في اللغة إذا انفردت في الذكر صار معناها عاماً وإذا ذكرت مع غيرها من الكلمات صار معناها خاصاً.

وقد تناول هذا الموضوع العلامة ابن تيمية[3] (رحمه الله) فقال: «وتارة تتنوع دلالة الإسم بحال الانفراد والاقتران».

فإذا أفرد عم وإذا أفرد بغيره خص.

كإسم الفقير والمسكين لما أفرد أحدهما في مثل قوله: ﴿للفقراء الذين احصروا في سبيل الله﴾[4] وقوله: ﴿ فكفارته إطعام عشرة مساكين﴾[5] دخل فيه الآخر.

---

(١) (٢) انظر كلام العلامة الشيخ محمد عبدالله دراز رحمه الله تعالى (كتاب المختار) ص (٩٣، ٩٤). وفي أكثر من موضع.

(٢) هو شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني وشيوخه أكثر من مائة شيخ وقال فيه الذهبي لعل فتاويه في الفنون تبلغ ثلاثمائة مجلد بل أكثر. وتوفي بدمشق سنة ٧٢٨هـ فوات الوفيات ١ :٣٥- ٤٥.

(٣) سورة البقرة آية ٢٧٣.

(٤) سورة المائدة آية ٩٢.

ولما قرن بينهما في قوله: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾[1] صارا نوعين[2].

آيات في الأيمان والاسلام

﴿قالت الأعراب: آمنا. قل: لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً أن الله غفور رحيم.

إنما المؤمنون الذين آمنوا (بالله) و (رسوله) ثم (لم يرتابوا) و (جاهدوا) (بأموالهم) و (أنفسهم) في (سبيل الله) أولئك هم الصادقون.)[3]

---

(١) سورة التوبة آية ٦١.

(٢) كتاب العبودية ص ٧٧ - ٧٨ وقد ذكر لهذا البحث نظائر بكلام نفيس فراجعه ص ٧٦ - ٧٩.

(٣) الحجرات آية ١٤، ١٥.

المبحث السادس

شرح آيات في الإسلام والإيمان

وتوضيحاً لما سبق نؤيد أقوالنا بشرح بعض الآيات الواردة في هذا الموضوع تثبيتاً للقلوب وتنشيطاً للعزائم وتنويراً للأذهان قال تعالى: قالت الأعراب.....

حقيقة الإيمان[1]

سبب النزول:

نزلت هذه الآيات الكريمة، بسبب جماعة، من أعراب البادية وجفاتها، أصاب أرضهم المحل، وامتنع عنهم الغيث وحل بهم الجوع، فألجأهم ذلك إلى اصطناع الإسلام، ودعوى الإيمان، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا يمنون عليه بقولهم:

جئناك طائعين، لم نحوجك إلى حرب، كما حاربك بنو فلان، وفلان.. وجئناك مؤمنين...

وقصدوا بقولهم هذا، أن يوزع عليهم الرسول، الأرزاق، وأن يقسم بينهم الأموال. وأكثروا هذا القول، حتى وضح أنهم (يتاجرون) بدعوى الإيمان.. (ويرتزقون) باسم الإسلام..

---

(١) مقتبس من كتابنا (الإسلام دين هداية).

الإيمان ليس وسيلةً للرزق:

وأراد الله (تبارك وتعالى) أن يعلم الناس، أن الإيمان أجل وأعظم من أن يتخذ متاعاً للرزق ووسيلة للنفع، وغاية يتوسل بها إلى غرض من أغراض الدنيا.

أراد أن يشعرهم، أن الإيمان جوهرة، تستقر، في القلب، فيشعر صاحُبها، أنه ملك من ملائكة الرحمن، أرسل إلى الأرض ليحقق أخلاق السماء وليؤدي رسالة علوية، على ظهر هذه الأرض..

فصاحب الإيمان، لا يشعر بفقر، ولا فاقة، لأنه أعز وأمنع من أن تؤثر فيه هذا المعاني الفانية..

وصاحب الإيمان، لا يشعر بذل ولا حاجة، لأنه يرى نفسه، قد تحصن بقوة الإيمان، وتدرع بدرع الإيمان، فأني يناله ذل، وكيف تلحقه حاجة؟

لوازم الإيمان:

أراد (تبارك وتعالى) أن يعلم الناس، أن هذه المعاني، من لوازم الإيمان، ومن مقتضياته الأولية، التي لا يتحقق إيمان، إلا بها، ولا يسلم إيمان إلا بسلامتها.

فأنزل هذه الآيات (تكذيباً) لهؤلاء الأعراب، على دعوى إيمانهم فقال:

﴿قالت الأعراب: (آمنا)، قل لم (تؤمنوا) ولكن قولو: (أسلمنا) ولما يدخل (الإيمان في قلوبكم)، وان تطعيوا (الله، ورسوله) لا يلتكم من أعمالكم شيئاً، إن الله غفور رحيم﴾.

تكذيب صريح، فهم ليسوا بمؤمنين.

وكيف يكون الايمان، قد دخل إلى قلوبهم؟ وهذه أعمالهم، تبرأ من الإيمان، ويبرأ منها الإيمان..

أيكونون مؤمنين؟ وهم يسألون الناس الحافا..

أيكونون مؤمنين؟ وقد اتخذوا إيمانهم (حيلة) من الحيل.. وصنعة من الصنائع، والحرف..

كلا، كل ذلك من منافيات الايمان، ومن ادعى الإيمان، وأتى بعمل، من هذه الأعمال، فقد ناقض نفسه، وكذّب دعواه..

لقد جعل الله العزة، من أخص صفات المؤمنين، فقال:

﴿ولله العزة ولرسوله، وللمؤمنين، ولكن المنافقين لايعلمون﴾(١).

وكان من عزتهم، ما وصفهم به ربهم بقوله:

﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا﴾(٢).

لهذا كله، سارع القرآن إلى نفي حقيقة الايمان، عن هؤلاء الأعراب الذين وقفوا، هذا الموقف المزري، من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره بأن يفهمهم.

﴿قل: لم تؤمنوا- ولكن قولوا: أسلمنا﴾.

نعم، الإسلام، هو الدرجة الأولى من الدرجات. والإسلام هو استسلام الظاهر، وانقياد الجوارح لهذه الأوامر، والنواهي..

---

(١) سورة المنافقون آية (٨) رقم السورة (٦٣).

(٢) سورة البقرة (٢٧٣) جزء ثالث رقم السورة (٢).

وكثيراً ما يكون هذا الاستسلام، وهذا الانقياد، عن غير عقيدة صحيحة كأعمال المرائين ومجاملة المجاملين وخداع المخادعين..

وهذا الإسلام إن نفع صاحبه في الدنيا فجرَّ له مغنما، أو دفع عنه مغرما، أو اكتسب صاحبه مقاما، أو أعلى له درجة، فما هو إلا ظل زائل يوم تكشف الاستار، وتهتك الأسرار، وتقدم الأبرار، ويساق الفجار، ﴿يومئذ يعض الظالم على يديه)[1].

﴿يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا، ولا هم ينصرون﴾[2]

﴿فكيف، إذا جئنا من كل أمة بشهيد، وجئنا بك، على هؤلاء شهيدا، يومئذ، يود الذين كفروا، وعصوا الرسول، لو تسوى بهم الأرض، ولا يكتمون الله حديثا﴾[3].

التفاعل بين الإيمان والإسلام:

لقد أشار تعالى بقوله:

﴿ولما يدخل الايمان في قلوبكم،﴾.

إلى (التفاعل) الذي يحصل بين الإسلام، والايمان (وتأثير) كل واحد. منهما بالآخر. فتارة يسبق الإيمان فيدخل القلب، ويستقر فيه، ثم يفيض على الجوارح والأعضاء، فيقودها للطاعة،ويسلمها للخير..

وتارة ينساق الإنسان برغبة، أو رهبة، فيأتي الشعائر، ويتردد على المساجد، وينطلق في وجه الخير، يفعل ذلك أول ما يفعله،

(١) سورة الفرقان آية (٢٧) رقم السورة (٢٥).
(٢) سورة الطور آية (٤٦) الجزء السابع والعشرون رقم السورة (٥٢).
(٣) سورة النساء آية (٤٢) الجزء الخامس رقم السورة (٤).

بدافع الرغبة، أو الرهبة، ولكن كثيراً ما يؤدي ذلك، إلى تنمية شعور الإنسان، حتى إذا قوي واشتد وجد نفسه (مؤمناً) مسوقاً بدافع نفسي، ومحرك داخلي، قلبي..

ومن هنا يظهر بجلاء ووضوح (أثر) الظاهر، في الباطن، و (تأثير) الباطن في الظاهر.

وإلى هذه أشار تعالى أيضاً بقوله:

﴿وان تطيعوا الله، ورسوله، لا يلتكم[1]، من أعمالكم شيئاً، ان الله غفور رحيم﴾.

الإيمان بتحقيق هذه الشروط:

لعلك ساءلت نفسك، كيف أكون مؤمناً، صحيحاً، ومتى أكون مؤمناً صادقاً، كاملا؟

ولعلك بعد ذلك التمست الأسباب، والطرق وتمنيت أن تأخذ بها، لتصبح والإيمان، بين برديك، وصريحه مستقر، بين جنبيك.

ها هوذا القرآن، يعرفنا السبيل، ويهدينا الطريق القويم، فيقول:

﴿إنما المؤمنون: الذين آمنوا بالله، ورسوله، ثم لم يرتابوا، وجاهدوا: بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، أولئك هم الصادقون.﴾

آية جميلة، وتعريف للمؤمنين جميل، وبودي لو يحفظها كل مسلم، من مسلمي هذا العصر.. ليعرفوا أين مكانتهم، وأين درجتهم، في الإسلام.

---

(١) لا يلتكم لا ينقصكم من أعمالكم.

فالشـرط الأول:

﴿الذين آمنوا بالله ورسوله.﴾

ومعنى ذلك، انهم أيقنوا بوجود الله، وانه معهم أينما كانوا، وانه هو الذي بدأهم بالتصوير، وأعانهم بالتقدير.

وآمنوا برسوله، فصدقوا قوله، واعتبروه مثلهم الأعلى في كل شيء. وليس ذلك فقط، فهناك شرط ثان وهو قوله ﴿ثم لم يرتابوا﴾ فعقيدتهم ثابتة، ثبوت الجبال صامدة، صمود السموات والأرض بل أشد فالجبال تتزلزل ولكن إيمانهم لا يتزلزل، والأرض تتغير، ولكن إيمانهم لا يعتريه تبديل، ولا تغيير.

هكذا هو المؤمن: إيمانه بالله، ورسوله، في حالة الرخاء كإيمانه بالله، ورسوله، في حالة الشدة.

وإيمانه سواء في حالة الإقبال، والادبار، لا ينقص إيمانهم عسر، ولا يزيده يسر.

وهكذا كان إيمان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ارتابوا يوم أن كادوا يهزمون في موقعة أحد، بل كان إيمانهم كما كانوا يوم انتصروا في يوم بدر.

ما ارتابوا، يوم أن تجمع عليهم العرب، واليهود وأحاطوا بهم من كل جانب، إحاطة السوار بالمعصم، ذلك يوم الأحزاب، وما أدراك ما يوم الأحزاب.

﴿إذ جاؤوكم من فوقكم، ومن أسفل منكم، واذ زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، وتظنون بالله، الظنون.

هنالـك ابتـلى المؤمنون، وزلزلوا زلزالاً شديدا، وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض، ما وعدنا الله ورسوله، إلا غرورا﴾[1].

وهنا ظهر الفرق واضحاً بين المؤمنين الصادقين، وبين المزيفين المدعين. أولئك ثبتوا، ولم يرتابوا..

وهؤلاء كذبوا الله، ورسوله، وقالوا: ﴿ما وعدنا الله، ورسوله، إلا غرورا﴾ ومن هنا تظهر لنا، قيمة هذا الشرط الثاني﴿ثم لم يرتابوا﴾...

فإنه يريد منك إيمانا (ثابتاً) لا يتغير، (وصادقاً) لا يخدع (وقوياً) لا يخور، ولا ينهزم..

والشرطان الثالث والرابع ﴿وجاهدوا: بأموالهم، وأنفسهم، في سبيل الله﴾.

لقد كان الشرطان السابقان، سلبيين (إيمان، وثبات)..

أما هنا فشرطان إيجابيان (جهاد بالمال، وجهاد بالنفس).

ونستطيع أن تقول: ان جهاد المال، والنفس، ثمرة، من ثمرات الإيمان والثبات عليه، أو هو برهانه، ودليل وجوده.

فالمؤمن لا يكون صادقاً، في دعواه، إلا إذا أرخص ماله، ونفسه في سبيل الله، ورضاء مولاه.

يضع ماله وما جنته يمينه، تحت تصرف الشرع، والدين، فأينما أمره دينه، أن يضع ماله، وضع، وأينما أمره أن يمتنع، منع.

---

(١) سورة الأحزاب آية (٩، ١٠، ١١) جزء (٢١) رقم السورة (٣٢).

وكذلك يضع روحه، ونفسه، وجسمه، ودمه، تحت امرة الشرع والدين، ويقول كما علمه (القرآن الكريم).

﴿إن صلاتي، ونسكي، ومحياي، ومماتي، لله، رب العالمين لا شريك له. وبذلك أمرت﴾(١).

وهكذا كان إيمان المسلمين السابقين، يلبون النداء، ويستجيبون الدعاء، يتسابقون إلى الموت، كما يتسابق مسلموا هذا العصر إلى اللذات والشهوات..

ويتسابقون في البذل والعطاء. كما يتسابق مسلموا هذا الوقت إلى الكنز والأخذ.. فاستحقوا بذلك مدح الله تعالى بقوله:

﴿من المؤمنين رجال، صدقوا ما عاهدوا الله، عليه، فمنهم، من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا.

ليجزي الله الصادقين، بصدقهم، ويعذب المنافقين، إن شاء أو يتوب عليهم، إن الله كان غفوراً، رحيما﴾(٢).

نعم انهم رجال، وكانوا رجالاً، واستحقوا هذا الإطلاق عليهم، لأنهم صدقوا بعهدهم، ووفوا بوعدهم، فوهبوا حياتهم، لإحياء الإسلام، ورفع رايته، وتثبيت دعوته، لأنهم وجدوا فيه، ما يحييهم في دنياهم وأخراهم، وانه لدين الخلود والجمال، والحق، والنور.

---

(١) سورة آل عمران آية (١٦١، ١٦٢) جزء (٨) رقم السورة (٦).

(٢) سورة الأحزاب آية (٢٣، ٢٤) جزء (٢١) رقم السورة (٣٢).

تعريــف الإيمــان

قال الله تعالى:

﴿إنما المؤمنون: الـذين آمنوا بالله، ورسوله، ثم لم يرتابوا وجاهــدوا: بأموالهم، وأنفسهم، في سبيــل الله، أولئـك هم الصادقون﴾[1].

لقد عرّف الله (تبارك وتعالى) المؤمن بتعريف شامل، كامل، ووضع أمام الناس ميزاناً صادقاً، ومقياساً صحيحاً، ليزينوا به الحقائق، وليضعوا كل واحدٍ، في مرتبته، وفي مقامه.

فهذا (مؤمن كامل) لأن شروط الإيمان قد تحققت فيه كاملة، من غير أن ينقص شرط منها.

وهذا (نصف مؤمن) لأنه آمن بالله، ورسوله، مثلاً، ولم يجاهد بماله، ولا بنفسه، في سبيل الله.

وهذا (مسلم ناقص) لأنه حقق في نفسه بعض الشرائط، وأهمل أكثرها..

وهكذا فقد وضع القرآن، أمامنا هذا (التعريف) لنعرف به الناس ومقدار ما عندهم من إيمان، (ونزن) به الأفراد، والجماعات، لنعطيهم درجة واقعية، عما هم فيه، وبما هم عليه.

لقد أصبح الناس بعد هذا التعريف، يعرفون به الصادق، من

---

(١) سورة الحجرات آية (١٥) جزء (٢٦) رقم السورة (٤٩).

الكاذب، والخلي، من الشجي، والمنافق، من الصريح، والكامل، من الناقص..

ولن يكون المؤمن، مستحقاً هذا اللقب، صادقاً في دعواه الإيمان، إلا إذا حقق في نفسه هذه القيود الأربعة:

١ - فكان مؤمناً (بالله، ورسوله).

٢ - ثم كان إيمانه هذا، إيماناً ناشئاً عن معرفة، ونظر، وعن علم، وعن فكر، وعن تأمل، وبحث، وبذا كان إيمانه، ثابتاً راسخاً، لا يعتريه ريب ولا يداخله شك. وكيف يداخله شك، وقد رضيت نفسه، واطمأن قلبه.

٣ - ثم بعد ذلك، يجاهد في ماله (فيبسط) يده في مرضاة الله. (ويقبضها) عندما لا يكون فيه رضاء مولاه.

٤ - ثم يجاهد في نفسه، (فيبيعها رخيصة) في سبيل الله، ويكون من أقصى أمانيه وأحبها إليه، أن يقتل شهيداً في سبيل الله، في ميدان الشرف والجهاد..

فإذا حقق المؤمن هذه القيود، واتصف بهذه الأوصاف، كان واحداً من الذين قال الله في شأنهم:

﴿إنما المؤمنون: الذين آمنوا بالله، ورسوله، ثم لم يرتابوا وجاهدوا، بأموالهم وأنفسهم، في سبيل الله، أولئك هم الصادقون﴾.

وسنتولى في هذه الكلمات الآتية، بسط هذه القيود، وشرح هذه الصفات، ليعرف كل واحد منا أين مكانه، وأين درجته؟

ثم لنعرف بعد ذلك، هل هو قريب إلى الله، أم هو بعيد منه؟ وهل هو ممن يستحق الجنة، أم ممن يستحق النار.؟

القيـــد الأول:

إنما المؤمنـون الذيـن آمنـوا بالله ورسولـه

يظن كـثير من الناس، ان الإيمان بالله،ورسوله، أمر يسير، وأنه من السهولة بمكان، أو أنه يكفي لتحقيقه، أن يقولها كلمة، أو يدعيها دعوى.

ولكن غاب عن هؤلاء، أن الإيمان بالله، ورسوله، عقيدة تدخل القلب، وترسخ في النفس، وتمازج الدم، وتخالط اللحم والعظام، وتنتهي بعد ذلك، بتجنيد سائر قوى الجسد وكافة جوارحه، وتسخير الباطن والظاهر لعبادة الله وحده، وتتبع مساقط رحمته، والتعرض لنفحات مرضاته.

إن الإيمان بالله، ورسوله، يقتضي محبتهما محبة صادقة، ومحبتهما تقتضي اتباعهما في كـل شيء، وتقتضي استحسان ما حسناه، واستقباح ما قبحاه، والنفرة مما نفرا منه.

﴿يا أيها الذين آمنوا: أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول، وأولي الأمر، منكم. فإن تنازعتم في شيء (فردوه) إلى الله، والرسول، إن كنتم تؤمنون بالله، واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلا. ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك، يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت.. وقد أمروا أن يكفروا به، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً، وإذا قيل لهم تعالوا، إلى ما أنزل الله وإلى الرسول، رأيت المنافقين، يصدون عنك صدودا﴾[١].

---

(١) النساء آية (٥٩)، (٦١) رقم السورة (١٤).

إن الإيمان بالله، ورسوله، معناه: ان لا ترى شرعاً، سوى شرعها ولا حكماً، سوى حكمها، ولا قانوناً، سوى قانونها، ولا طاعة سوى طاعتها:

﴿قل: أطيعوا الله، والرسول، فإن تولوا، فإن الله لا يحب الكافرين﴾[1].

﴿من يطع الرسول، فقد أطاع الله، ومن تولى، فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾[2].

﴿ومن يطع الله ورسوله، يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها، وذلك الفوز العظيم﴾[3].

﴿ومن يعص الله، ورسوله، ويتعد حدوده، يدخله ناراً خالداً فيها، وله عذاب مهين﴾[4].

﴿فلا وربك، لا يؤمنون، حتى يحكموك فيما شجر، بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم، حرجاً مما قضيت، ويسلموا تسليما﴾[5].

إن الإيمان بالله، ورسوله، يقتضي أن تجعلها غاية، لا وسيلة، ومقصداً لا سلما..

إن الإيمان بالله، ورسوله يحتم عليك تقديمها على أعز عزيز، وأحب حبيب وأقرب قريب، وأشهى مرغوب، وأعلق مطلوب.

---

(١) آل عمران آية (٣٢)، رقم السورة (٣).
(٢) النساء آية (٨).
(٣) النساء آية (١٢).
(٤) النساء آية (١٣).
(٥) النساء آية (٦٥).

مصداق ذلك في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم، حتى يكون هواه، تبعاً لما جئت به. لا يؤمن أحدكم، حتى أكون، أحب إليه، من نفسه، ووالده، والناس أجمعين)(١).

مصداق ذلك، من كتاب الله، قوله تعالى:

﴿قل إن كان آباؤكم، وأبناؤكم، وإخوانكم، وأزواجكم، وعشيرتكم وأموال اقترفتموها، وتجارة تخشون كسادها، ومساكنُ ترضونها أحبَّ إليكم من الله، ورسوله وجهاد في سبيله، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾(٢).

يا له من تهديد، ومن وعيد شديد..

يتوعد (أولئك) الذين يزعمون المحبة، ويتظاهرون بالإيمان، ثم يتبعون غير سبيل المؤمنين، فأولئك يتربص الله بهم، ويكيد لهم، والله خير الماكرين..

آثار الإيمان:

إن الإيمان بالله ورسوله يخلق منك رقيباً عليك، يراقبك أينما كنت ويرافقك أينما توجهت.

وإذا كان رقيبك منك، ورقيبك فيك، ورقيبك عليك، فأنت في يقظة دائمة، وفي خوف من نفسك على نفسك. وهذه مرتبة الإحسان، وهي أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك.

---

(١) متفق عليه

(٢) التوبة آية (٢٤) رقم السورة (٩) ج العاشر.

إن الايمان بالله، إيماناً لا يخالجه شك. ان تعلم أن الله، هو المتصرف بالعالم وحده، بيده النفع والرفع، وبيده الضر والخفض، إذا تيقنت ذلك استوى في نظرك الناس جميعا:

﴿قل اللهم مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء، وتذل من تشاء بيدك الخير، إنك على كل شيء قدير﴾[1].

هكذا فهم صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، معنى الإيمان بالله ورسوله، فكانوا على بينة من الأمر وسبيل، قويم..

﴿ثم لم يرتابوا.﴾

القيــد الثـانـي:

لن نفهم اليوم معنى قوله تعالى: ﴿ثم لم يرتابوا﴾ إلا إذا نظرنا إلى إيمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيمان أصحابه، كيف كان في ثبوته، ورسوخه..

إن عدم الريب في الإيمان، لا يظهر إلا عند الشدائد والأهوال.

وكما أننا لا نعرف مدى قوةِ هذ الشجرة من تلك، ولا مدى استقرار هذه وتمكنها في الأرض، إلا بعد أن تهب الرياح، وتثور الزوابع.

حينذاك يصمد القوي، وينهزم الضعيف، ويثبت المتمكن، ويظهر الزائف.

إذا أردت أن تعرف مدى قوة إيمان رسول الله (صلى الله عليه

---

(١) آل عمران آية (٢٤) رقم السورة (٣) ج ثالث.

وسلم) فانظر إليه، في موقفين من مواقفه الكثيرة، العديدة..

الموقف الأول:

ذلك يوم اجتمع أشراف العرب، وكبار قريش، وعرضوا على محمد (عليه السلام) هذه العروض، السخية التي كانت (امتحاناً) قوياً لصدق إيمان الرسول لقد عرضوا عليه، أن يسودوه عليهم، وأن ينادوا به ملكاً، وأن لا يقطعوا أمراً دونه.. على أن يترك هذا الأمر الذي جاء به.

ووسطوا لذلك عمه أبا طالب[1]، وقدموا إليه بالوعيد بعد الوعد. فما كان منه (عليه السلام) إلا أن قال:

يا عماه: والله لو وضعوا الشمس، في يميني، والقمر، في شمالي على أن أترك هذا الأمر، ما تركته حتى، يظهره الله، أو أهلك[2].

الموقف الثاني:

أما الموقف الثاني: فذلك عندما خذله الناس، ولم يجدْ ناصراً على الحق، ولا حامياً له من الأعداء، وتألبت عليه مكة، بعد وفاة عمه أبي طالب، وزوجته خديجة، فرأى أن يهاجر إلى الطائف، لعله يجد أعواناً وأنصارا، فما كان منهم إلا أن سلّطوا وأغروا سفهاءهم، وعبيدهم يسبونه، ويرجمونه وينهرونه، حتى الجأوه إلى الاحتماء ببستان (لابني ربيعة) وقد أوشك أن يسقط اعياء وتعبا. فما كان منه (عليه السلام) إلا أن رفع رأسه إلى السماء وناجى ربه فقال:

---

(١) هو عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم من قريش، أبو طالب، والد علي بن أبي طالب وعم النبي ﷺ ونزل فيه قوله: «انك لا تهدي من أحببت». توفي بمكة عام ٣هـ طبقات ابن سعد ١: ٧٥.

(٢) لم يروه أحد من أصحاب الصحاح وهو مذكور في سيرة ابن هشام.

(اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس. يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني[1]، أم إلى عدو ملكته امري، إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي.

أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا، والآخرة، من أن ينزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك)[2].

من هذين الموقفين، تتجلى قوة إيمان الرسول، وعدم شكه في رسالة ربه. وفي يقينه بنصر الله، واعزاز دينه.

ويكفي هذان الموقفان، لتفسير هذا (الشرط الشديد) من شروط الايمان وهو قوله تعالى: ﴿ثم لم يرتابوا﴾.

لقد ثبت إيمانه أمام (الملك، والجاه، والسلطان) ونظر الرسول (عليه السلام) إلى كل هذه المغريات، المحببة إلى النفوس، كما ينظر الرجل الكبير، الكامل، إلى لعب الأطفال، ومتع الصبيان..

ثم لقد ثبت إيمانه فيما بعد ذلك، أمام أنواع العذاب، وأصناف البلاء وضروب الإهانات، وتحمل في سبيل (الإيمان) عداء أهله، ومحاربة قومه والهجرة من بلده.

---

(١) يتجهمني: أي يلقاني بالغلظة والوجه الكريه. تابع العروس ٨: ٢٣٤.

(٢) ذكره ابن اسحاق بدون سند وكذلك رواه ابن جرير في تاريخه طبعة لايدن ٣/١٢٠٠ - ١٢٠١ من طريق ابن اسحاق وكذلك روى هذا الدعاء الطبراني في معجمه الكبير من حديث عبدالله بن جعفر مختصراً وفيه الدعاء المذكور بنحوه وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦: ٣٥: وفيه ابن اسحاق وهو مدلس ثقة وبقية رجاله ثقات.

ثم بعد ذلك حارب، وقاتل، حتى استقر له الأمر، ودان له ما أراد، فما تغير منه شيء، لا من نظم حياته، ولا من طرائق عيشه، فعاش فقيراً، ومات فقيرا، والتحق بالملأ الأعلى، وليس في بيته زاد، ودرعه مرهون عند يهودي في المدينة[1].

هذا هو صاحب (الإيمان الأول) لأنه الرجل الأول، من خلاصة رجال الله وعباده (صلوات الله وسلامه عليه):

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وذكر الله كثيرا﴾[2].

القيد الثالث والرابع: الجهاد، بالمال، والنفس:

وجاهدوا: بأموالهم، وأنفسهم في سبيل الله لقد سبق وفسرنا لك فيما سلف، معنى قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله، ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ ووقفنا بك عند الشرطين التاليين، وهما قوله تعالى:

﴿وجاهدوا: بأموالهم، وأنفسهم، في سبيل الله.﴾

ولقد بيّنا، أن الإيمان ليس كما يظن الناس (كلمة) تقال على اللسان وإنما هو **عقيدة**، **وفكرة**، **وعمل**، يتطلب منك ما تتطلبه العقيدة من (دفاع) وما تقتضيه الفكرة من (ثبات) وما يوحيه العمل، من (دأب) متواصل.

ولذا عرف الله (المؤمن) بهذا التعريف الواضح، وجعل من جملة القيود، التي لا بد منها لاستكمال الإيمان، هذه القيود الشديدة (جهاد بالمال) (جهاد بالنفس) وان يكون هذا الجهاد، مقترناً بالنية

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير رقم ١١٧٩٧.

(٢) الأحزاب آية (٢١) رقم السورة (٣٣) جزء (٣١).

الصادقة، والقصد الخالص، متوجهاً به لله رب العالمين. **في سبيل الله لا في سبيل غيره.**

لقد سجل التاريخ، صفحات بيضاء للمسلمين السابقين، من جهاد بالمال، والنفس، لم يسبق للتاريخ، أن سجل مثلها، ولن يستطيع ذلك إلى يوم القيامة.

جهـــاد النفـــس:

لقد لاقى المسلمون، السابقون، كل عنت، ومشقة، وكل بلاء، وعذاب، مما يتصور الإنسان، ومما لا يتصور، ومما يتخيله ومما لا يتخيله. كل ذلك في سبيل هذا الدين، الذي آمنوا به طائعين، ودخلوا فيه مستسلمين.

أبــو بكــر:

هذا أبو بكر الصديق، وهو العظيم في قريش، المعروف بينهم في حسبه، وماله، ومنزلته، يتعرض لأنواع كثيرة، من أنواع البلاء. لقد كان يدخل المسجد الحرام، فيجد رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وقد اجتمعت عليه قريش، يتناولونه بالأذى والسباب، فلا يطيق أبو بكر الصبر، ولا يطيق السكوت، فيدخل فيما بينهم ليمنع الأذى أن يصيب رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

وتغضب قريش من هذه المعارضة، فينقضون على أبي بكر يضربونه بالنعال، ويلكمونه، ويقطعون شعره، ويمزقون جلده، وأبو بكر صابر على ذلك، حتى يسقط مغشياً عليه، وينقلوه إلى البيت، وهو بين الموت والحياة حتى إذا عاودته الروح، كان أول شيء سأل عنه: كيف حال رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

لم يتألم أبو بكر، على ما ناله، ولم يأسف على ما حصل له، وإنما كان فرحه لا يقدر، لأنه استطاع، أن يؤدي عبادة من أكبر العبادات، ألا وهي: تخليص رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذى قريش، وتعذيبهم.

ثم لا ينظر بعد ذلك لما أصابه، ولا يأبه لما حل به، وإنما يقابل كل ذلك، بنفس مطمئنة راضية، ويقبض على شعره بيده وهو يتساقط من رأسه وهو يقول:

« سبحانك يا ذا الجلال والإكرام ».

بـــلال:[1]

وإذا كان أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) قد ناله من الأذى، والعذاب ما سمعت بعضه، فماذا تتصور أن ينال غيره من صنوف البلاء، وفنون الشقاء؟

نعم لقد نالهم أكثر مما ناله، ووقع عليهم أكثر مما وقع عليه.

لقد كان بلال الحبشي، عبداً لطاغية قريش، **أمية بن خلف**[2] فساءه أن يدخل عبدُه في دين محمد صلى الله عليه وسلم تاركاً دين سيده وولي أمره، فأتى به، وأوقفه بين يديه، وأخذ يتهدده، ويتوعده إذا لم ينسلخ عن دين محمد، وإذا لم يرجع عن هذه البدعةِ الجديدة.

(١) هو بلال بن رباح الحبشي، أبو عبدالله، مؤذن الرسول ﷺ، وأحد السابقين للإسلام توفي بدمشق سنة ٦٠هـ طبقات ابن سعد ٣: ٦٩.

(٢) هو عبد بن خلف بن وهب من بني لؤي. ومن ساداتهم أدرك الإسلام ولم يسلم وهو الذي عذب بلالاً الحبشي، قتل يوم بدر سنة ٢هـ سيرة ابن هشام ٢: ٥٢.

ولكن بلالاً وقد آمن بعد فكر، وطول بحث، رفض من سيده أن يتدخل بينه وبين ربه.

نعم انه عبد لأمية، ولكن قبل ذلك، وبعد ذلك، هو عبد لربه، ورب أمية، هو عبد لذلك الرب الذي يحيي، ويميت، وله الآخرة والأولى وبيده الملك، وهو على كل شيء قدير.

فما كان من بلال العبد، إلا أن (جاهر) أمام سيده بهذه العقيدة السمحة، مظهراً له، انه لن يتنازل عن عقيدته، وإيمانه، مهما كلفه (الثبات) على ذلك من مشقة وعذاب.

وهنا كبر على أمية، أن يرى من عبده هذا الإصرار، والعناد، وهذه المخالفة، والجُرأة، فأخذ في تعذيبه، فوضع القيد في يديه، ورجليه وأغرى به الصبيان، والغلمان يجرونه في الشوارع، والأزقة، ويضربونه بالحجارة ويطرحون عليه التراب، كل ذلك لم يغير من بلال شيئا.

أليس ذلك في مرضاة الله؟ ومادام في مرضاته، فليكن ما يكن. وأخذ أمية يتفنن في تعذيب هذا العبد، ووضعه في الحصباء المحماة في الشمس بعد أن جرده من ثيابه، ثم وضع فوقه حجراً ثقيلاً، وقطع عنه الأكل، والشراب، وكان كلما ازداد تعذيباً، ازداد بلال ثباتاً وصبراً.

لقد أدرك بلال، أن الثبات، والصبر من مقتضيات الإيمان، وان الجهاد بالنفس، خطوة من خطوات الإيمان.

لقد كان هذا العذاب الذي يقع على جسمه، ويتناول بدنه،

يقابله شعور عميق، وسعادة بالغة، بما دخل قلبه من إيمان، وما عمّر صدره من إسلام.

وأخيراً (غلب) إيمان بلال، كفرامية، ووقف أميةُ مشدوهاً أمام هذا الثبات، وأمام هذه العقيدة الراسخة، وطأطأ هذا (السيد) رأسه أمام عظمة ذلك (العبد)، وكانت العاقبة لبلال فخرج من أسر أمية وظلمه، بفضل الإسلام، وثباته على الإيمان.

هذا بعض الجهاد بالنفس، أو هذا أول الجهاد بالنفس.

وكماله أن يجاهد الإنسان، ويقتل (مستشهداً) في سبيل الله وما كانت هذه الدرجة إلا أحب الدرجات عند المؤمنين، فكانوا (يتعشقون) الموت (ويتسابقون) إليه، بما يحب الناس اليوم، الحياة ويتسابقون عليها، حتى كان الأب وولده يتخاصمان أيهما يخرج إلى الجهاد، فلا يجدان من وسيلة، سوى أن يحكما بينهما القرعة.

خيثمة، وولده:

وهذا **خثيمة**(١) (رضي الله عنه) يريد الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر، فيجادله ولده **سعد**(٢)، فيستهمان فيخرج السهام لولده، فيتضرع الوالد ويقول لولده:

يا بني: آثرني اليوم، ودعني أجاهد، بدلاً عنك..

---

(١) هو خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب الأنصاري الأوسي والد سعد بن خيثمة وقتل يوم أحد شهيداً. أسد الغابة ٢: ١٢٩.

(٢) هو سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب الأنصاري الأوسي يكنى أبا خيثمة وقتل يوم بدر. أسد الغابة ٢: ٢٧٥.

فيجيب ولده سعد ويقول:

يا أبت: لو كان ما تطلبه مني غير الجنة لفعلت..

هكذا بلغ بهم حب الموت، وحب الجهاد في (سبيل الله)، حتى امتدت هذه العدوى، إلى الأولاد الصغار.

رافــــع:

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعرض الجيش، في وقعة أحد، فيرى بينهم أولاداً صغاراً فيردهم، ولكن فتى صغيراً اسمه (رافع)[1] أخذ (يتطاول) على أطراف أصابعه ليوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه بلغ مبلغ الرجال، فيرضى عنه الرسول ويتركه كما ترك غلماناً أصروا على البقاء معه، واحتالوا حتى أرضوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسيروا مع الجيش، ولينالوا شرف الاستشهاد..

زيــد[2] وخبيــب[3]:

ولنختم أحاديث الجهاد بالنفس، بقصة رائعة ليست الوحيدة من نوعها في تاريخ الإسلام على كل حال:

---

(١) هو رافع بن خديج بن رافع بن عدي الأوسي الأنصاري كان قد عرض نفسه يوم بدر فرده رسول الله ﷺ لأنه استصغره وأجازه يوم أحد فشهد أحداً والخندق وأكثر المشاهد/ أسد الغابة ٢: ٢٥١ وقال السهيلي كان عمره خمس عشرة سنة/ الروض الانف ٥: ٤٢٦.

(٢) هو زيد بن الدثنة بن معاوية بن عبيد بن عامر بن بياضة الأنصاري الخزرجي. شهد بدراً. أرسله الرسول ﷺ في سرية عاصم بن ثابت وخبيب بن عدي وقتل سنة ثلاث للهجرة أسد الغابة ٢: ٢٢٩- ٢٣٠.

(٣) هو خبيب بن عدي بن مالك بن عامر بن مجدعة الأوسي الأنصاري شهد بدراً وقتل سنة ثلاث للهجرة أسد الغابة ٢: ١٠٣- ١٠٤.

قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من العرب، وقالوا يا رسول الله، ان فينا إسلاماً، فابعث فينا من أصحابك نفراً يفقهوننا في الدين، ويعلموننا شرائع الإسلام، ويقرؤوننا القرآن.

فبعث عليه السلام ستة من كبار أصحابه، كان منهم (زيد) وآخر يقال له (خبيب)، وفي وسط الطريق (غدر) بهم القوم، ونكلوا بهم.

أما زيد، فقد دفع إلى مولى يقال له (نسطاس)[1] ليقتله، فلما قدم إلى مكة، سأله أبو سفيان[2].

أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمداً، عندنا في مكانك، لضرب عنقه وأنت في أهلك؟

فقال زيد:

والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه، تصيبه شوكة، وأنا جالس في أهلي.

فعجب أبو سفيان وقال:

ما رأيت من الناس أحداً، يحبه أصحابه، كما يحب أصحاب محمد محمداً. وقتل زيد، راضياً (مضحياً نفسه) في سبيل الله.

وأما خبيب، فقد حبس، ثم خرجوا به ليصلبوه، فقال للقوم:

إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع، ركعتين فافعلوا.

---

(١) أسد الغابة ٢: ٢٣٠.

(٢) هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. صحابي وهو والد معاوية واختلف في مكان وفاته بين المدينة والشام توفي سنة ٣١هـ الإصابة: ترجمة ٤٠٤١.

فوافقوه على ما أراد، فركع، ركعتين أتمها، وأحسنها، ثم أقبل على القوم فقال:

أما والله، لولا ان تظنوا أني إنما طولت جزعاً من القتل، لاستكثرت من الصلاة.

وأخيراً رفعوه إلى الخشبة، ليصلبوه وهو يقول:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً
على أي جنب كان في الله مصرعي
ولست بمبد للعدو تخشعا
ولا جزعا اني إلى، الله مرجعي[1]

وهكذا كان السابقون من المسلمين، يبتسمون أمام الموت، حتى قال قائلهم عندما حضرته الوفاة:

غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه

ودائماً كان مثلهم الأعلى قوله تعالى:

﴿من المؤمنين رجال، صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدّلوا تبديلا﴾[2].

الجهاد في المال:

وكذلك الجهاد بالمال، فبذله شرط من شروط الإيمان، وليس البذل بالأمر السهل، وإنما هو كما قالوا أشق من الجهاد بالنفس، وقد يكون في كثير من الأحيان (ألزمَ) من الجهاد بالنفس، وأكثر حاجة

---

(١) ذكر ابن الأثير في كتابه أسد الغابة هذه الأبيات ٢: ١٠٤.
(٢) التوبة آية (٥٢) الجزء العاشر رقم السورة (٩٥).

وضرورة، ولذلك قدمه الله تعالى على النفس في كثير من آيات القرآن الكريم، ويكفي للدلالة على فضل البذل قوله تعالى:

﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾[1].

وكما كتب الصحابة أنصع الصفحات، وأبيضها، في الجهاد (بأنفسهم) في سبيل الله، كذلك سجلوا ما يعجز التاريخ، عن مثله في (بذل المال) خالصاً لوجه الله.

فترى مثلاً رجلين (يتسابقان) في البذل والسخاء، وهما أبو بكر وعمر، فهذا يأتي (بكل) ماله، ويضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر يأتي (بنصف) ماله، ويضعه أمام النبي (عليه السلام).

فيقول النبي: ماذا تركت يا أبا بكر لأولادك؟

فيقول أبو بكر: تركت لهم الله ورسوله.

ثم يقول لعمر: وما تركت يا عمر لأهلك؟

فيقول: تركت لهم نصف مالي.

ونرى في التاريخ الإسلامي، أن شخصاً (واحداً) كعثمان بن عفان[2]، كان يجهز جيشاً بأكمله، من غير أن يرضى بمساعدة أحد، لا من الأغنياء ولا من الفقراء.

ولم يكن التسابق في البذل خاصاً بالرجال، بل كان (النساء)

---

(١) الأحزاب آية (٢٣) الرقم (٣٢).

(٢) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية من قريش ثالث الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة وقتل بالمدينة سنة ٣٥هـ.

أشد حرصاً، على إرضاء الله، في البذل في سبيله، فكانت الواحدة منهن، تنزع حليها، وجواهرها، راضية مطمئنة. وربما نزلت احداهن عن مالها كله في سبيل الدعوة المحمدية، وناهيك بما فعلت **خديجة**[1] (رضي الله عنها).

وكذلك كان بلاؤهن في الصبر، والجهاد، والثبات، مما لا يقل عن الرجال ولقد تعطرت كتب السيرة بما روت عن **(أم ياسر)** و **(صفية)** و **(أم سعد)** و **(أم عمارة)** وغيرهن رضي الله عنهن أجمعين.

هذا ما تيسر انتقاؤه واملاؤه والقاؤه على الطلبه ابنائي في (كلية الشريعة - جامعة بغداد).

اللهم اجعله خالصاً لوجهك الكريم، وتقبله منا بمحض فضلك وجودك، انك صاحب الفضل العظيم، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب **العالمين**. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أصحابه الغر الميامين وأتباعه إلى يوم الدين آمين.

الفقير إليه تعالى

الشيخ محمد نمر الخطيب

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

آمين

---

(١) هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى من قريش، أم المؤمنين. كانت تكنى بأم هند. وتوفيت بمكة سنة ٣ قبل الهجرة وسماه الرسول عام الحزن. الإصابة قسم النساء ترجمة ٣٣٣.

فهارس الكتاب

فهرس الآيات القرآنية
الواردة في هذا الكتاب

فهرس الأحاديث النبوية

- لا عبادة كالتفكير ص ٢٤ أخرجه ابن حبان إلغاء دليل الفالحين: /٢ : ٣٦ .
- بينما رجل مستلق على فراشه إذ رفع رأسه فنظر إلى السماء والنجوم فقال أشهد أن لك رباً وخالقاً اللهم اغفر لي فنظر الله إليه فغفر له ص ٢٥ / الثعالبي عن أبي هريرة دليل الفالحين / ٢ : ٣٦ .
- عن ابن عباس تفكر ساعة خير من قيام ليلة ص ٢٥ / وأبي الدرداء / دليل الفالحين / ٢ : ٣٧
- الفكرة خير من عبادة سنة / السري السقطي ص ٢٥ / دليل الفالحين ٢ : ٣٧
- إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ص ٣٤ / رواه البخاري في كتاب الوصايا ومسلم في كتاب البر.
- إن الله سبحانه أمر عباده المؤمنين بما أمر به عباده المرسلين ص ٣٩ / أخرجه الترمذي في سننه.
- لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ص ٥٣ ابن ماجه / فتن ٣ .
- لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك ثم قال له الآن يا عمر ص ٥٥ رواه البخاري ١ : ١٠ كتاب الإيمان.
- الإيمان بضع وستون شعبة وبضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ص ٦٦ / أخرجه البخاري في الإيمان ١ :٤٨ ، ٤٩ / مسلم كتاب الإيمان ١ : ٦٣
- أبو داود ٢ : ٥٢٢ / الترمذي ٧ : ٢٧٨ .
- لا تلعنوه فوالله انه يحب الله ورسوله ، ص ٧٣ / البخاري في كتاب الحدود.
- بني الإسلام على خمسة ص ٨٨ / البخاري باب الإيمان ١ ، ٢

- المسلم من سلم الناس من لسانه ويده ص ٨٨ / بخاري باب الإيمان ٥ / مسلم- الإيمان ٦٤ ، ٦٥
- الإيمان أن تؤمن بالله تعالى وملائكته ورسله ص ٨٨ / بخاري- إيمان ٣٧ تفسير سورة ٣١- ٢ / مسلم- إيمان ١- ٥
- المؤمن من أمن الناس بوائقه ص ٨٨ / في رواية البخاري لا يؤمن الذي لا يأمن الناس بوائقه باب الأدب ٢٩ / مسلم- الإيمان ٧٣ / ترمذي- قيامه ٦٠ /
- المسند ١ : ٣٨٧ ، ٢ : ٢٨٨ ، ٣٣٦ ، ٣٧٢ ، ٣ : ١٥٤ / ٤ : ٣١ ، ٦ : ٢٨٥
- لا يؤمن أحدكم حتى يكون هوا تبعاً كما جئت به.... والناس أجمعين ص ١٠٤ / متفق عليه
- (والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك) ص ١٠٦ لم يروه أصحاب الصحاح.
- (اللهم إني إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس...) الحديث ص ١٠٧
ذكره ابن اسحاق بدون سند وكذلك رواه ابن جرير ٣/ ١٢٠٠- ١٢٠١ من طريق ابن اسحاق وكذلك روى هذه القصة الطبراني في الكبير من حديث عبدالله بن جعفر مختصراً وفيه الدعاء المذكور بنحوه.

قال الهيثمي ٦/ ٣٥: «وفيه ابن اسحاق وهو مدلس ثقة وبقية رجاله ثقات»
- ماذا تركت يا أبا بكر لأولادك / ص ١١٦
- وماذا تركت يا عمر لأهلك / ص ١١٦

فهرس الأعلام

مراجع البحث

فهرس المراجع والمصادر

القرآن الكريم

أسد الغابة في معرفة الصحابة/ لابن الأثير ت ٦٣٠هـ في خمسة مجلدات طبع بمصر ١٢٨٠هـ/الإصابة في تميز الصحابة/ لابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ أربع مجلدات طبع بمصر سنة ١٩٣٩م

الانسان ذلك المجهول/ الكسيس كاريل/ تعريب: شفيق فريد، مكتبة دار المعارف ط٣/١٩٨٠م بيروت.

تاريخ العروس من جواهر القاموس/ محمد مرتضى الزبيدي ت ١٢٠٥هـ/ دار الحياة بيروت

تاريخ الرسل والملوك/ لابن جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ/

تذكرة الحفاظ / للذهبي ت ٧٤٨هـ/ أربع أجزاء / طبع في حيدر أباد ١٣٣٤

تفسير الطبري جامع البيان في تفسير القران: ابن جرير الطبري ت ٣١٠هـ الأميرية ١٣٢٣هـ.

التفسير الكبير للفخر الرازي ت ٣٠٦هـ مفاتيح الغيب: الأميرية/تفسير المنار/ محمد رشيد رضا ت ١٣٥٤هـ طبع في مصر ١٣٥٣وصور في بيروت في دار المعرفة.

تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ/ دار صادر - بيروت

دراسات في الفرق والمذاهب الإسلامية: د. عرفان عبدالحميد، دار التربية بغداد.

دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين/ محمد بن علان الصديقي ت ١٠٥٧هـ حققه محمد الفقي/ مطبعة حجازي القاهرة ١٩٣٨م.

الرازي مفسراً/ محسن عبد الحميد/ دار الحرية- بغداد/ ١٩٧٤م

روح المعاني / للعلامة الألوسي ت ١٢٧٠هـ/ تصوير دار إحياء التراث العربي - بيروت.

الروض الآنف/ لعبد الرحمن السهيلي ت ٥٨١هـ/ حققه عبد الرحمن الوكيل/

دار الكتب الحديثة مصر ١٩٦٧/ ط ١
رياض الصالحين للإمام النووي ت ٦٧٦هـ مكتبة الجمهورية العربية- مصر / ١٩٦٠
الزواجر عن اقتراف الكبائر/ لابن حجر المكي الهيتمي ت ٩٧٤هـ/ دار الكتب العربية الكبرى - مصر/ ١٣٣٢.
سبيل السعادة/ للشيخ يوسف الدجوي ت ١٣٦٥هـ
سنن الترمذي/ للحافظ الترمذي ت ٢٧٩هـ/ بعناية عزت عبد الدعاس/ دار الدعوة / حمص ١٩٦٥
سنن ابن داود مع خاشية عون المعبود/ أبو داود السجستاني ت ٢٧٥هـ/ وشرح محمد شرف رضا/ دار الكتاب العربي بيروت.
سيرة ابن هشام ط الحلبي ١٩٣٦م مصر.
شرح العقائد النسفية: سعد الين التفتازاني ت ٧٩٣هـ مطبعة الحلبي مصر
صحيح البخاري مطبوعات محمد علي صبيح- مصر/ للإمام البخاري ت ٢٥٦هـ.
صحيح مسلم/ للإمام مسلم ت ٢٦٠هـ/ المطبعة المصرية.
صفة الصفوة/ لأبي الفرج ابن الجوزي ت ٥٩٧هـ/ تحقيق محمود فاخوري/ الوعي بحلب ط/ ١٩٦٩
الطبقات الكبرى. لابن سعد ت ٢٣٠هـ طبع في بيروت مع مقدمة لاحسان عباس. صادر.
طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين السبكي. ت ٧٧١هـ الحسينية ط١.
طبقات الصوفية: لأبي عبد الرحمن السلمي ت ٤١٢هـ. طبع بمصر بعناية أحمد الشرباصي.
والعبادة والعباد: بحث في التصوف / محمد نمر الخطيب. مستل من مجلة كلية الإمام الأعظم- العدد الرابع ١٣٩٨هـ.
فوات الوفيات: محمد بن شاكر الكتبي ت ٧٦٤هـ، الأميرية ١٢٨٣هـ
في ظلال القرآن/ سيد قطب ت ١٣٨٧ ط ٥/ ١٩٦٧.

القول السديد في علم التوحيد / محمود أبو دقيقة / مطبعة ومجلة الارشاد. مصر / ١٩٣٦م
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ت ١٠٦٧هـ مكتبة المثنى - بغداد.
مختار الصحاح / محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ت ٦٦٦هـ / دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٧ ط ١
المختار من كنوز السنة النبوية / محمد عبدالله دراز ت ١٩٥٨م / نشره عبدالله الأنصاري- قطر ١٩٧٧
مسند الإمام أحمد / أحمد بن حنبل ت ٢٤١هـ / تحقيق أحمد شاكر / دار المعارف / مصر ١٩٤٦
المعجم الكبير / للطبراني ت ٣٦٠هـ / تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي / وزارة أوقاف العراق- بغداد ١٩٧٨م ط ١
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبد الباقي / مطبعة دار الكتب- مصر - ١٣٦٤هـ
معجم المطبوعات العربية والمعربة / يوسف اليان سركيس ت ١٣٥١هـ / مكتبة يوسف إليان سركيس- مصر- ١٩٢٨.
المفردات في غريب الفرآن / للراغب الأصفهاني ٥٠٢هـ / حققه محمد الكيلاني / دار المعرفة بيروت
من نور الإسلام / محمد نمر الخطيب / دار الحياة- بيروت
هداية المريد لعقيدة أهل التوحيد / محمد عليش ت ١٢٩٩هـ / الجامعة الإسلامية ليبيا ١٩٦٨م
الوسيلة في شرح الفضيلة في علم أصول الدين / عبد الكريم المدرس / مطبعة الإرشاد بغداد ط ١ ١٩٧٢م
وفيات الأعيان لابن خلكان ت ٦٨١هـ / الأميرية / ١٢٩٩هـ.

فهرس الموضوعات

مؤلفات صاحب الكتاب

١ – من هدي القرآن
٢ – من أثر النكبة
٣ – المدخل لدراسة النطق
٤ – فلسفة الحج
٥ – الاسلام دين هداية
٦ – من نور الإسلام
٧ – أحداث النكبة
٨ – الإيمان طريقنا إلى النصر
٩ – حقيقة اليهود والمطامع الصهيونية
١٠ – مرشد الدعاة
١١ – أبحاث تمهيدية في العقيدة الإسلامية
١٢ – موقف الدين من العلم

تحت الطبع

١ – فلسفة العبادة في الإسلام
٢ – قبس من نور الإسلام
٣ – من علوم القرآن
٤ – دراسات في الفلسفة الإسلامية
٥ – الفلسفة الإسلامية من مصادرها الأصلية
٦ – تاريخ الفقه الإسلامي
٧ – مقدمات في الفلسفة
٨ – أيام في الباكستان
٩ – عام في تونس وليبيا
١٠ – شهور في المغرب الأقصى
١١ – محاضرات إسلامية
١٢ – أحسن الحديث
١٣ – شخصيات عرفتها
١٤ – فتاوي إسلامية
١٥ – أسئلة وأجوبتها
١٦ – النصرانية في القرآن وكما فهمها المفسرون
١٧ – اين عرفة عالم المغرب